الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشّهيد حمّة لخضر – الوادي–

كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

القضايا الاجتماعيّة في رواية القاهرة الصّغيرة

– لعمارة لخوص–

مُذكّرة مكمّلة لنيلِ شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي
تخصّص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبات:
- ✓ أحلام حوامدي
- ✓ فاطمة ضيف
- ✓ سناء جدي

إشراف:
الأستاذ الدكتور: نبيل مزوار

الاسم واللّقب	الجامعة	الصّفة
د. ميداني بن عمر	جامعة الشهيد حمّة لخضر الوادي	رئيسًا
أ.د. نبيل مزوار	جامعة الشّهيد حمّة لخضر الوادي	مُشرفا
د. كلثوم زنينة	جامعة الشّهيد حمّة لخضر الوادي	مُناقشاً

السنة الجامعيّة: 1445هـ–1446هـ / 2023م–2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

شُكرٌ وعِرفان

الشُكر لله أولاً لما أولانا من نِعم

فقد وفقنا لاختيار عملنا وأعاننا على إنجازه فله الحمد والمنة، ثم الشكر لأولي النعمة .

جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :

"من لَا يشكُر الناس لَا يَشكرِ الله"

قد يقف المرءُ عاجزا على رد الجميل لذوي الفضل، وقد لا تسعفه اللغة حتى عن معاني الشكر والتقدير، ونخص بالذِكر أستاذنا المُشرف : الأستاذ الدكتور نبيل مزوار لتوجيهاته القيِمة ونصائحه السديدة التي أخذت من ثمين جهده ووقته الكثير فله وافر الشكر والتقدير كما لا يفوتنا توجيه أسمى عبارات الامتنان إلى كل أساتذة الكلية، وكل من ساعدنا على أداء عملنا ولو بكلمة طيبة.

مقدمة

مقدمة:

الأدبُ فنّ من الفُنون الجميلة التي تعكِس مظاهرَ الحياة العامّة سيما الاجتماعية، وسيلته الكلمة إذْ يصفُ من خلالهِ المبدعُ مشهدًا أو موقفًا إنسانيًّا يجسّد تجربةً ما، فينقلها بوعيٍ وحسٍّ مُرهفٍ في عمله الفنّي لتُشبَع نهمه وتؤثّرَ في المُتلقّي، مُحقّقًا في ذلك أهمّ أهدافه وغاياته الظّاهرة منها والخفِيّة.

والأديبُ لا يَعدمُ أنْ يكون صاحبَ رسالة تربطهُ بمجتمعهِ، علاقةُ تفاعل متبادلة مُنطلقاً من شعوره العميق بالالتزام بقضاياه و بمسؤوليّته نحوه فيعرضها في أعماله مفصّلةً مُعرّفا بها ومعالجا لها أحيانا سواء تعلّقت بالأنا أو الآخر، ولأنّ الرّواية أقربَ هذه الفنُون الأدبيّة احتكاكًا بالواقع وأدقّها تصويرا له، وأبلغَها في التّعبير عن متطلّباته وهو ما جعلها هدف المُبدع المُعاصر بتوظيف شخصيّات تضطلعُ بهذه المهمة تتكلّم بلسانه فتحدّثنا عمّا يجيش في خلده وفؤاده، مُطلقا العنان لخياله فيصوّر لنا الواقع كما يحب أنْ يراه.

لقد تناول عديد الرّوائيين الجزائريين الرّواية الاجتماعية، وسايروا بل أسهموا في تجديدها وتطويرها شكلا ومضمونا لعلّ أبرزهم: جيلاني خلاص، ميلود بن زايد، وعمارة لخوص... وهذا الأخير عُرف بكتاباته الرّوائية الاجتماعية المستحقّة للدّراسة سيّما روايته الموسومة بِـــ: " القاهرة الصغيرة " التي تنضحُ بالموضوعات الاجتماعية فوقع اختيارنا عليها قصد تسليط الضوء على أهمّ القضايا التي اشتملت عليها ولا غَرْوَ في ذلك بالنّظر لشغفنا بالرّواية والرّواية الاجتماعية على وجهِ الخُصوص لحيويّة موضوعاتها وتشابُكها وما تمنحه من لذّة لقارئها فضلا عن نزوعنا إلى الأدب المُلتزم الذي يهمّ المجتمع، مع رغبتنا الملحّة لمعرفة حال المُواطن العربي في الغربة وأهمّ القضايا التي تشغله.

ومن ثمّ جاء بحثنا موسومًا ب: " القضايا الاجتماعية في رواية القاهرة الصّغيرة " على أنّ هذا العنوان وضعنا وجها لوجه مع الإشكال الآتي: ما القضايا الاجتماعية العربية التي

شغلت المُبدع وهو يُقيم خارج البلاد العربية؟ وهل توصيفه لها داخل بيئتها أم خارجها؟ وهل تختلف أهميّتها وخطورتها في البيئتيْن؟ وما موقف الرّوائي منها؟ وما الخلفيّة التي غذّت طرحهُ لتلك القضايا؟

وللإجابة عن إشكاليّة هذا الموضوع وما تفرّع عنها من أسئلة أعدَدْنا خطّة مكوّنة من فصلين أولُّهما نظريّ والثاني تطبيقيّ مسبوقيْن بمقدّمة ثم مدخل ومتبوعيْن بملحق ثم خاتمة ضمّناها أهمّ نتائج البحث.

أما الفصل الأول (النّظري) الموسُوم بـ " القضايا الاجتماعيّة في الأدب الرّوائي " فقد قسّمناه إلى أربعة مباحث، عالجنا في المبحث الأول مفهوم القضايا الاجتماعيّة، وفي المبحث الثاني تناولنا أنواعها بينما درسنا في المبحث الثالث خصائصها وفي المبحث الرابع والأخير من هذا الفصل سلّطنا الضوء على علاقة الرّواية بالمجتمع.

في حين كان عنوان الفصل الثاني (التطبيقي) " تجلّيات القضايا الاجتماعيّة في رواية القاهرة الصغيرة "ومن خلاله تطرّقنا للقضايا الاجتماعيّة التي تناولتها الرواية بدءا بالهجرة، الإرهاب، الفقر، الحجاب، الطلاق، تعدّد الزوجات، المساكنة، هوس عمليات التجميل، العنصريّة، البيروقراطيّة و أخيرًا الخيانة ثم ألحقنا البحث بملحق قدمنا فيه تعريف بالرّواية ، نبذة مُختصرة عن الرّوائي ثم ملخص للرّواية .

ولأنّنا بصدَدِ توصيفِ تلك القضايا الاجتماعية الواردة في الرّواية موضوع الدّراسة فقد اسْتَخْدَمْنا المنهج الوصفي التحليلي لمناسبتهِ طبيعة الموضوع مع الانفتاح على مَناهج أُخرى كالمنهج التاريخيّ والاجتماعي والنّفسي كلّما اقتضى الأمرُ.

ولصعوبة بحث هذا الموضوع فقد اِعْتمدْنا على بعض المصادر والمراجع لعلّ أهمّها: علم الاجتماع الأدبي لأنور عبد الحميد موسى، وعلم المشكلات الاجتماعيّة لمَعن عمر

خليل، والتّحليل الاجتماعي للأدب لـ السيّد ياسين، والنّقد الاجتماعي نحو علم اِجتماع للنّص الأدبي لـ "بير ريما".

ومع مَا قدّمته لنا هذه المصادر والمراجع من خِدمة جليلة سهّلت مهمّتنا لكنّ ذلك لم يمنع من وُجود بعض الصّعوبات التي اعترضت طريق بحثنا نذكر منها: تأخّر الحُصول على نسخة من الرّواية الذي تسبّب في انحِسار وقت انْجاز العمل، مع عدم تفرّغنا للبحث بحكم الارتباطات المهنيّة، ومن ذلك أيضا صُعوبة الاعتماد على بعض الدّراسات لافتقارها للتوثيق المنهجي المطلوب، لكنّ ذلك لم يُثْـنِـنَـا عن مواصلة عملنا مستعينين في ذلك بعد الله عزّ وجل بتوجيهِ ومساندة أسْتاذنا المُشرف " البروفيسور " نبيل مزوار، فله منّا وافر الشّكر والتقدير سائلين المولى أنْ يجعل جُهوده في ميزان حسناته ونسأله عزّ وجلّ أنْ يرزقنا التوفيق و الإخلاص في القول و العمل، و أنْ ينفع بها الدّارسين في كل زَمَن وحِينْ.

المدخلُ

المدخل:

تُعَرّفُ القضايا الاجتماعية على أنّها «مواقف اجتماعية تواجه المجتمع أو أحد أجهزته أو جماعاته، وتحتاج إلى المزيد من الدراسة لتحديدها أو تفسيرها، واقتراح الحلول العملية المناسبة التي يسهُلُ الاتفاق حولها من طرف المختصين في علم الاجتماع»[1].

وعليه يمكن أَنْ تتحوّلَ المسائل والقضايا الاجتماعية إلى مواضيعَ اجتماعية ذات أهميّة، مع ضرورة إيجاد حلول ومقاربات لها لِمنْعِ تحوُّلهاَ إلى مُشكلات اجتماعية، ومنه فالقضايا الاجتماعية: مسائل تخصّ الجماعة من النّاس يشتركون فيها سلبا وإيجابا من قبيل تداخُل العلاقات الاجتماعية والبناء الاجتماعي، وكان تفاعل المسَارات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مطلع القرن العشرين في البلاد العربية، قد أدّى إلى زيادة منسوب الوعي الاجتماعي لدى مختلف أطياف المجتمع، وبرز هذا الوعي خصوصا لدى الأدباء الّذين كان على عاتقهم حمل كبير من أجل مسايرة التحوّلات التي فرضها الوضع الجديد لأغلب البلاد العربية، ومنه كانت مساهمات الأدباء في هذا المجال مرآةً عاكسة للواقع الاجتماعي، نظرا لمتانة العلاقة بين الأدب والمجتمع وتجذّرِها وتماسكها، فلا يولد فنٌّ ولا يتطوّر إلّا في نطاق الجماعة الحاضنة له، ومنه جاءت الرّواية كصنف متميّز من أصناف الفنون الأدبية المعبّرة بصدقٍ عن القضايا الاجتماعية.

صحيح أنّ الرّواية ليست حكرا على الواقع وقضاياه المعاصرة فقط ولا يسند إليها دور النّاقد والمقومّ فحسب وذلك لأنّها يمكن أنْ تكون خيالية بحتة، أو رومانسيّة عاطفيّة أو تتبنّى فكرا هدّاما لا يخدم المجتمع ولا ينهض به، ولكنْ بعرضها لقضايا اجتماعية وتحليلها وتفسيرها لها تكون قد أظهرت لنا غرضا من أغراضها المتعددة، والتي تختلف حسب طبيعة

[1] – عبد العزيز عبد الله الدخيل ، معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، ط2، 1434 هـ – 2012 م ، ص176 .

الموضوع وهدف المؤلّف من عمله الأدبي، وحسب ميُولات القارئ وطلب السوق الأدبية وغيرها من العوامل التي تساهم في كتابة الرّواية وتحديد غرضها وموضوعاتها واتجاهاتها وقبل هذا وذاك ماذا نقصد بالرواية وما هي أهم خصائصها ومميّزاتها ؟

و الرّواية في مفهومها العام هي ذاك النثر الأدبي الفني لمعناه الراقي، وبمعنى أدقّ هي «جنس سردي منثور ذو بنية شديدة التعقيد، متراكبة التشكيل، تتلاحم فيما بينها وتتظافر لتشكّل في النهاية شكلا أدبيّا جميلا يتّخذ اللّغة مادّته الأولى والخيال هو الماء الذي يسقي هذه اللّغة فتنمو وتربو وتخصب، كما تنشد عنصرا آخر وهو عنصر السرد – أي الهيئة التي تتشكّل بها الرّواية – أما التّقنيات الأخرى فلا تعدُو كونها أدوات لعجن هذه اللّغة المُشبعة بالخيال ثم تشكيلها على نحو معين، بحيث تكون تلك اللّغة سهلة الفهم نسبيّا والأعمّ استعمالا والأكثر شيوعًا بين أوساط المثقّفين »[1]

هذا وقد تطوّرت الرّواية على مرّ السّنين متأثّـرة بعدّة عوامل، فهي واحدة من أكثر أنواع القصص طولا، لأنّها تحتوي على عددٍ كثير من الشّخصيات بالإضافة إلى تعدّد الأحداث وتشعّبها ومرونة التحكّم في الزمن من تسلسل واستباق واسترجاع وغيرها من التّقنيات الفنية التي تُظهر قدرة الرّاوي وتحكّمه في أدواته الفنية، وهذا بالاعتماد على الدّقة في وضع حبكة للرّواية مع الانسجام في التّفاعل بين الأحداث والشّخصيات في إطار زماني ومكاني محدّد.

وتتنّوع الرّواية حسب أغراضها ومواضيعها واتجاهاتها ، فنجد السياسية ، التاريخية ، العاطفية والاجتماعية ، ولعل هذه الأخيرة هي الأكثر تداولا وإنتاجا وهذا تأكيد ودلالة على تلك الرابطة القويّة بين الأدب والمجتمع وأن الأدب يستقي مادته الخام من المجتمع ولهذا

[1] –عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهريّة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998 م، ص 27.

ارتأينا أنْ تكون موضوعا لبحثنا، فطالما ارتبطت الرّواية العربية بواقع الناس المعيش في أغلب الفترات الزمنية التي مرّت لها مجتمعاتنا العربية، ورغم تأثّرها بالرّواية الغربية إلّا أنّها حاولت التفرّد واثبات خصوصيتها، فاهتمت بمتطلبات الفرد العربي وحاجياته وميُولاته وهذا ما جعلها الأكثر طلبا وإقبالا مقارنة مع غيرها من الفنون الأخرى.

والدليل على ذلك أنّ الكثير من الأعمال الرّوائية تمّ تحويلها إلى أفلام سينمائية يتابعها الملايين وتُرجمت إلى لُغات عديدة.

هذا وقد عالجت الرّواية العربية مجموعة من القضايا الاجتماعية المشتركة في الفترات المعاصرة والمرتبطة بظواهر أفرزها التحوّل الواقع في العالم بأسره نهاية القرن العشرين، مثل ظاهرة الإرهاب التي ألقَت بظلالها على عدّة شعوب عربية وإسلامية، وانعكاساتها على المجتمعات العربيّة، حيث اخترنا رواية "القاهرة الصغيرة" للكاتب عمارة لخوص، لأنّها عالجت مشاكل اجتماعية تتّسمُ بالتعقيد كظاهرة الهجرة وقضايا الإرهاب العابر للدّول، وتداخلات الاقتصاد والسياسة ومسألة العيش في الغرب، وكانت المُعالجة في قالب واضح من الجرأة، دون تحفّظ أو خوف حيث غاصت في بنية المكان والشّخوص السردية التي تتعلّق بها. واتّضحت الصّورة الجمالية للرّواية في طريقة عرضها وبيانها للموضوع والبناء السّردي، وطرح الأحداث المليئة بالقضايا الشّائكة في محاولة صرف النّظر عن مرجعيات تلك الأحداث التي ولّدتها عوامل الهجرة واختلاف البيئات ونظرة الغرب للإسلام، وتصفُ الرّواية بشكل مؤثّر مُشكلات العديد من المغتربين العرب والآسيويين والأفارقة وعذاباتهم ومشكلاتهم مع الشّرطة ومع كثير من أصحاب عملهم ويتحدّث عن العنصرية لدى الايطاليين، وفي الرّواية كلامٌ كثير عن المتطرّفين من الأصوليين وحملتهم على المسلمين المعتدلين.

الفصل النظري: القضايا الاجتماعية في الأدب الروائي

أولا: التعريف وضبط المصطلح

ثانيا : أنواع القضايا الاجتماعية

ثالثا : خصائص القضايا الاجتماعية

رابعا : الرواية والمجتمع

أولا: المفهوم وضبط المصطلح

1- المفهوم اللّغوي :

- القضية : ورد في لسان العرب لابن منظور مفهوم كلمة القضية : « هي مصدر من الفعل قضى وجمعها قضايا على وزن فَعَالى، وقضى يقضي فهو قاضي، أي حَكَمَ بين الناس، وقضاء الشيء أي إحكامه و إمضاؤهُ والفراغ منه، والقضاء في اللّغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه أي خُتِمَ وأُنْفِذَ »[1]،

كما جاء في الآية الكريمة ﴿ فَقَضَاهُنّ سَبْع سَمَوَاتٍ في يَوْمَين ﴾ فصلت الآية 12 أي أحكم خلقهن .

وفي آية أخرى ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيّاهُ ﴾ الإسراء الآية 23 ، أي أمر ربك وحكَمَ فهو أمرٌ قاطع .

أما في تاج العروس فنجده يشرح الفعل « يُقضى بمعنى يبيّنُ لك بيانهُ، وقضى أيْ حكم وقطع في الأمور، واستقضاه السلطان أيْ: طلبهُ للقضاء، والمُقاضاة على وزن مفاعلة من القضاء أيْ : الفصلُ في الحكم، وقاضاه أي رفعهُ للقاضي »[2].

أما في المُنجد للّغة للويس معلوف فنجد « القضية مصدر من الفعل قضى وهي القول الذي يَصِحُّ أن يُقال لقائله إنّهُ صادق فيه أو كاذب »[3].

---

[1] أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الافريقي المصري ، لسان العرب م 15، دار صادر بيروت (د، ط)، 1408هـ، ص 186.

[2]- محمد مرتضى الحسين الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (تح عبد المجيد قطاش، مراجعة على سفر وخالد عبد الكريم جمعة، ، سلسلة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د، ط)، 2001م، ص ص 311- 315.

[3]- لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، (د، ط)، نوفمبر 2009، ص 636.

– الاجتماعية: وهي «كلمة مشتقّة من الفعل اجتمع وتَجَمَّعَ أي انضمّ إلى بعضه البعض، وتجمّعوا من كلّ صوب وأجْمَعْ هو اسم يدلّ على الشمول والكليّة، ونقول رجل اجتماعي، أيْ مُزاولٌ لحياته الاجتماعية أيْ كثير المخالطة للنّاس.

وعلم الاجتماع هو علم يبحث في نُشوء الجماعات الإنسانية ونُمُوّها، والمجتمع هو موضعُ الاجتماع والجماعة من النّاس» [1].

ومن هنا نجد أنّ الكلمة تحمل الكثير من المعاني والدّلالات وهذا حسب السّياق الذي وردت فيه وحسبَ الاستعمال الخاصّ لها، فالقضايا الاجتماعية هي مواقف وحالات في المجتمع.

2 – المفهوم الاصطلاحي

وُظف مصطلح القضايا الاجتماعية في العديد من الدراسات وفي مختلف المجالات ويقصد به « تلك الصّعوبات السائدة في المجتمع نتيجة التّفاعل بين أفرادِه، والّتي تمثّل موقفا اجتماعيا يُواجه الجماعات والأجهزة داخل المجتمع ويحتاج منّا إلى دراسةٍ وتحليل مُعمّق يبحث على التّفسير وعلى الحلول المُتّفق عليها كي يمْنعَ تحوّل هذه المسائل والقضايا الاجتماعية إلى مشكلات حقيقة »[2].

[1] – إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية القاهرة ، مصر ، ط4 ، 1425هـ – 2004 م ، ص136

[2]– عبد العزيز عبد الله الدّخيل، مُعجمُ مصطلحات الخدمة الاجتماعية، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط2، 1434هـ – 2012م، ص 176.

ومن هنا يجدر الإشارة إلى التّداخل المَوْجود بين المصطلحات المستخدمة في هذه الدّراسة، وضرورة التّفريق بينها، حيث نجد أكثر من مصطلح يَحْمل كلٌّ منه تَفَرُّدا دقيقا يُمَيِّزُهُ عن غيْره ويُوجّهُ الدّراسة توجيهاً مُحدّداً حسب مُنطلقاته ومعايِيرهِ ومن هذه المصطلحات نجد:

- **مُصطلح المشكلة الاجتماعية أو الإشكالية الاجتماعية** : «وهي حُكم أغلبية الناس على الحَدثِ المُتناقِضِ والمتعارِض مع بعض القيّمِ والمعايير الاجتماعية ومع ما هو سائد داخل المجتمع بأنه مشكلة تتعارض مع ضوابط المجتمع » [1] والتي يُحدّدُها الدين والعُرفْ والقانون والثقافة المسيطرة على الفِكر العام لتلك الجماعة مع ضرورة الوعي بها وإدراكِها .

ومن خلال هذا المصطلح قد نجد بعض القضايا الاجتماعية لا تُصنّفُ على أنّها مشاكل فالفقر مثلًا هو قدرٌ محتومٌ لا يتعارض مع قيّمِ المجتمع ومعتقداته.

- **مصطلح الظاهرة الاجتماعية** : «وهي كلّ ضربٍ من الّسلوك ثابت أو متغيّر، يمكن له أن يُباشر نوعاً من القهر الخارجي على الأفراد، فهي سلوك جمعي يَعُمُّ المجتمع بأسره[2].

حيث يشترط في القضية الاجتماعية كي تكون ظاهرة أن تتوفر على صيغة الانتشار والعموم ، ويشترط في الظاهرة كي تكون مشكلة أن تشتمل على البعد السلبي الذي يترك أثرا سلبيا على الفرد والمجتمع ، لذلك اخترنا مصطلح قضية اجتماعية لأنه أعم وأشمل من غيره من المصطلحات .

[1]– معن خليل عمر، علم المشكلات الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2005م، ص 24

[2]– حسام الدين محمود فياض، إيميل دور كاييم مؤسّس علم الاجتماع الحديث، المنهج التفسيري في دراسة الظواهر الاجتماعية، دراسة في علم الاجتماع البنائي، مكتبة نَحو علم اجتماع تنويرِ (د، ط)، 2018م، ص 19.

ثانيا : أنواع القضايا الاجتماعية:

تختلف القضايا الاجتماعية في تصنيفها إل عدّة أنواع، وهذا حسب مرجعية كلّ قضية والعامل الأساس المؤثّر فيها، حيث « يُمثّل التغيير الاجتماعي إطاراً مرجعيّاً لمُعظم القضايا الاجتماعية التي تُطرح داخل المجتمع، لأنّ سنّة الحياة لا تتوقّف عن الاستمرار والتّداخلات مع نوع من التّباين بين الفئات والأفراد، كما ينعكسُ هذا التّغيُّرِ على عدّة مجالات سياسية واقتصادية ونفْسيّة مُخلّفا وراءه العديد من القضايا المعاصرة التي تَوَلّدتْ بتفاعل واندماج هذه المعطيات»[1].

ومن هذا المنطلق نستطيع تصنيف القضايا الاجتماعية إلى أربعة أنواع أساسية وهي:

1 / قضايا اجتماعية ذات مرجعية اقتصادية :

وهي تلك القضايا التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأوضاعِ الاقتصادية لذلك المجتمع، ومستوى معيشته الاقتصادي الذي يُمثّل الأساس الحيوي الذي تقوم عليه كافّة الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية[2].

ولعلّ من أبرز هذه القضايا نجد الفقر والبطالة والفساد الإداري والاقتصادي، –عمالة الأطفال– التشرُّد –السّرقة– التّهريب– الرِّشْوة– غسيل الأموال...

[1]– مُعن خليل عمر، مرجع سابق، ص 27.

[2]– ينظر ، إسماعيل حسن إسماعيل وشكري رجب عشماوي، قضايا اقتصادية معاصرة، الدار الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2014م، ص 03.

2 / قضايا اجتماعية ذات مرجعية نفسيّة :

وهي القضايا المتعلّقة بالتّنشئة النفسية والسّلوكية للفرد داخل أُسرته وعلاقته بالوالدين ومَدَى تفاعله مع محيطه، والتي تكون مُتوارثة من الوالدين إلى الأبناء مُسْتَتِرة في سلوكاتهم وطِباعهم وتصرّفاتهم.[1] مُشكّلةً فيما بعد بعض القضايا والمشكلات الاجتماعية، التي تؤثّر في المجتمع ككُلّ، ومن أمثلة هذه القضايا: العُنف الأسري، التنمُّر، الإدمان، الطلاق عزوف الشباب عن الزّواج، الإجرام، القتل....

3 / قضايا اجتماعية ذات مرجعية سياسية:

إذا كانت السياسة « هي العلم والفن الذي يتعامل مع شكل الدولة وتنظيمها وإدارتها وعلاقتها بالدولة الأخرى وهذا في إطار قوانين منظمة لهذه الإجراءات » [2] ، فإن القضايا الاجتماعية ذات المرجعية السياسية « هي تلك القضايا التي تطرح بدافع سياسي وتستهدف تبدل أو تعديل نظام الحكم أو جهازه ، كما تشمل جميع الآراء والمعتقدات التي تشكل منهجا فكريا معينا يتفق أو يتعارض مع فكر مجموعة سياسية تتواجد في السلطة »[3] ، كما تنطبق أيضا على الأنشطة المحظورة أو الترويج لفكر سياسي محظور عن طريق خطب أو منشورات أو أي وسيلة أخرى تستخدم للعنف أو التحريض أو المساس بأمن الدولة السياسي و من هذه القضايا الإرهاب، التطرف، الفساد السياسي، الديمقراطية، الحكم السياسي، علاقة الدين بالحكم ، البيروقراطية وغيرها .

---

[1]– ينظر، نبيلة عباس الشويرجي، المشكلات النفسية للأطفال (أسبابها وعلاجها)، ط1، مطبعة العمرانية للأوفست، الجيزة، مصر، 2002م،ص08.

[2] – ستيفن دي تانسي ، علم السياسة ، ترجمة رشا جمال مراجعة جمال عبد الرحيم ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2012 ، ص24 .

[3] – عدنان الخطيب ، الوجيز في شرح المبادئ العامة في قانون العقوبات ، 93/1 ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق – سوريا، د. ط، 1956م .

4 / قضايا اجتماعية ذات مرجعيّة دينية وثقافية :

وهي تلك القضايا النّاتجة عن ممارسات ثقافية فكرية أو ممارسات دينية تنظر للدين على أنّه مجموعة من القيّم والأفكار الاعتقادية ومجموعة من الأخلاق السّلوكية وتطبيق هذه الأخلاقيات هو ما نسمّيه بالتّديُّنْ[1] .

ومن هنا نجد الاختلاف في هذه التطبيقات وتَعدُّدِها من فئة إلى فئة أخرى ومن طائفة إلى طائفة أخرى، وَلَّدَ لدينا قضايا دينية شديدة الحَساسيّة مثل: الطائفية في الفكر والعقيدة، الفتنة، الإلحاد و الطرقية

كما نجد قضايا أخرى تعكِسُ مدى الالتزامْ بالدين أو البعد عليه مثل السّحر والشّعوذة الشرك والخمر ...

ثالثاً-خصائص القضايا الاجتماعيّة:

تمتاز القضايا الاجتماعية بالعديد من الخصائص المشتركة التي جعلت منها مَوَاضيع هامّة ومُلْفِتَة للانتباه وذات تأثير على المجتمع أَوْجَبَ دراستها وتحليلها ولعلّ من أبرز هذه الخصائص هي:

- **الدّينامية الدائمة:** فهي ذات حركة وتفاعل مستمر مع غيرها من القضايا الأخرى وهي في نفس الوقت مُعْدِية وسريعة الانتشار.

[1] - ينظر - حسني محمد العطّار، قضايا فكرية ودينية، مؤسسة نافذ للبحث والطباعة والنشر، ط1، 1442هـ-2020م، ص.10.

- **التلقائية** : حيث نجدها تنشأ نشأةً تلقائية في جميع المستويات الحضارية والثقافية وتكون ناتجة في الأصل على وُجود ظروف مشتركة بين جماعة مُعَيّنة أوْ مُجتمع معيّن[1].

- **المسؤولية تُجاه القضايا الاجتماعية** : « وهي مسؤولية جماعية تتطلّبُ إتّباع نهج جماعي لتحليلها وتفسيرها ومُعالجتها.

- **العمومية** : فهي مؤجودة في جميع المجتمعات، ولكنّها تتَباينُ من مجتمع لآخر ومن زمان لآخر وهذا حسبَ معطيات البيئة وظروفها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهي بهذا تُؤثّر على جميع شرائح المجتمع مع نَوْع من التّفاوت في درجة التأثير حسب قُرب هذه الشّريحة من القضية أو بُعدُها عنها » [2].

كما نجد خصائص أخرى تميز القضايا الاجتماعية عن غيرها من القضايا مثل :

- **التّشابه في القضايا الاجتماعية بين المجتمعات وفي طُرق معالجتها** : «لأنّ الإنسان بالغًا ما بلغ من التّأثُّر بِبيئتهِ الخّاصة هو تابع في تَدَرّجه لقواعدها الاجتماعية العامّة المستقاة من تجارب واختبارات متماثلة في جميع الأفراد والجماعات »[3].

---

[1]- ينظر ، أنور عيد الحميد موسى، علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة والنّقد، دار النهضة العربية، مكتبة فلسطين للكتب المصوّرة، ص 50.

[2]- علي زين الدين وسعيد القطان وهناء حراز ومريم شتوي، القضايا الاجتماعية في فنّ الفيديو، مجلّة بحوث كلية التربية النوعية، (نصف سنوية)، جامعة بور سعيد مصر، م 14، ع 14، جوان2021م، ص ص 45-70

[3]- عبد الرحمن شهندر، القضايا الاجتماعية الكُبرى في العالم العربي، مطبعة المقتطف، القاهرة، مصر، (د، ط)، 1936م، ص 10.

- **ملامستها للجانب الإنساني:** لأنّه يتأثّر بالوعي الأخلاقي والشعور والإدراك البشري، وبمستوى وأنماط المعيشة حيث أنّها تكتسب أهميّتها من خلال تأثيرها وانعكاسها على الفرد والمجتمع بشكل عام[1].

رابعا: الرّواية والمجتمع

تكتسب الرّواية كعمل أدبي دورها وأهميّتها من خلال الوظيفة التي تؤدّيها بين مؤلّفها ومُستهلكها، والتي تتجلّى من خلال التفسيرات التي تدرسها وتحلّلها بالاعتماد عل عِدّة مجالات ومناهج متفرّعة ، « حيث تتباين وظيفتها بين المتعة والفائدة وهما صِفتان لم تقتصرا على مبدأ الالتزام فقط، بل تجاوزاه إلى حَدِّ الاندماج والتداخل »[2].

إذْ يعتمد المُفسّرون للرواية والعمل الأدبي ككل على منهجين أساسين في تفسير وتحليل العمل الروائي وهما:

- **المنهج الداخلي** : وهو المنهج الذي يُعْنى بالجانب الجمالي للإبداع ويُرَكّزُ أساسًا على تفسير وتحليل الأعمال الأدبية بذاتها ولذاتها وأدواته في ذلك الأوزان والصُور والأساليب....

- **المنهج الخارجي** : وهو المنهج الذي يُعْنَى بالعوامل الخارجية التي تُحيط بالأدب وتؤثّر عليه وتحاول أنْ تُفسّره في ضوء سياقه الاجتماعي، فأصحاب هذا المنهج يَرَون بضرورة

[1]- ينظر ، مُعن خليل عمر: علم المشكلات الاجتماعية ، ص 24.

[2]- وليك أوستن وآرت، نظريّة الأدب، تر عادل سلامة، دار المريخ للنشر والطبع، الرياض، السعودية، 1412هـ-1992م، ص 154.

دراسة الأدبُ في سيَاق حياة المؤلف وسيرته وظروفه الاجتماعية وحالته النفسية ومعطيات طفولته والمرحلة التاريخية التي ينتمي إليها ولبيئته الاجتماعية ووضعه الاقتصادي[1].

فالعمل الأدبي بالنسبة لهم هو مَخزنٌ للوثائق والأعراض والعلامات التي يستخدمها النّاقد والقارئ في تفسيراته النفسية والاجتماعية والفلسفية ، حيث نجدهم لم يهتموا بالعرض الدرامي ولا بطريقة رسمِ الشّخصيات ولا كيفيّة تَدرّج الصّراع بينها، وإنّما اعْتبروها مُجرّد شيفرات تُرشدهم إلى تحليل الظروف المحيطة بالإنتاج الروائي، وهي بهذا تُخرِجُ العمل الروائي من أدبيّتهِ وتجعلها تحتلُّ مكانة ثانويّة بعد ميادين السوسيولوجيا والسيكولوجيا والفلسفة[2].

إذْ يُعرّف بعض المُهتمين بهذا المنهج الرواية على أنّها مجموعة من مواقف وأحداث اجتماعية وتاريخية تجمع في طيّاتها وصف للحياة النفسية الداخلية للفرد مع تحليلات اجتماعية مُحيطة بذلك الفرد وإنتاجه الأدبي، وهم بهذا التعريف قدْ أسْندوا للرواية وظيفة حلّ المشكلات الاجتماعية ودراستها من أجل التّعرّف على اتجاه في واقع متغيّر ومتصارع بهدف تعليله وتفسيره وتحليله[3].

فالعلاقة بين الرّواية والمجتمع ليست علاقة انفصال أو تأثير وتأثّر فقط، بل هي علاقة تفاعل وتكامل واندماج حيث انطلقوا من الشّكل الروائي وبنيته النّصية كي يصلوا

---

[1]– ينظر ، السَّيِّد ياسين، التحليل الاجتماعي للأدب، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ص ص 23–25

[2]– ينظر ، المرجع نفسه، ص32.

[3]– ينظر ، بيير زيما، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع للنصّ الأدبي، تر عايدة لطفي، مراجعة أمينة رشيدة و سيد البحراوي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1991م، ص 123.

إلى المضامين الاجتماعية وصِلتها بالمجتمعات التي تُعبّر عنها والمراحل التاريخية التي تُصَوّرها من خلال شخصياتها وأحداثها وحُبْكتها الدّرامية[1].

حيث تبنّى أصحاب المنهج التاريخي والاجتماعي في تحليل العمل الأدبي نظرية الانعكاس وأنّ الرّواية هي مرآة للحياة الاجتماعية وشكل من أشكال النشاط الإنساني الذي يُمكن تفسيره في ضوء قوانين تطوّر الوجود الاجتماعي لأنّ نظرية الانعكاس كانت شاملة لكلّ الجوانب « حيث اهتمّت نظرية المحاكاة بالمتلقي واهتمت بنظرية التعبير بالمبدع واهتمت نظرية الخلق بالعمل الأدبي » [2]، فالرّواية حسب هذا المنظور هي صورة عن المجتمع تعكس موقفا من طبيعة العلاقات الاجتماعية الدائرة فيه والتي تُظهر تداخل عوامل مُجْتَمِعة يحضر فيها النّفسي والجمعي والتّاريخي وهو بهذا ليس سوى تجربة اجتماعية عبر واقع مُتَخيّل ترمي بظلالها على العملية الإبداعية وتصنعها وتُوجّهها ويقوم الأديب ببلورتها حسب تَوَجهه الفكري والثقافي والسياسي[3].

وقد اهتمّ أصحاب هذا المنهج بالرواية أكثر من باقي الأجناس الأدبية الأخرى، لأنّها تُقدّم أكبر عدد ممكن من القضايا الاجتماعية وتقوم بدراستها.

« فالأديب في العمل الروائي يَمْحو أفكار مُسبقة ويساهم في دعم راي معيّن أو زعزعة فكرة ما، فهو يُعدّل الأذواق والطباع ويؤلّب الرّأي العام ويجمع الكلمة حولها ويشُدّ إزرها ويكون بذلك وسيلة للضبط الاجتماعي وتشكيل الذّوق العام وترشيد السّلوك » [4] .

---

[1]– ينظر ، يبير زيما، النقد الاجتماعي نحو علم الاجتماع للنص الادبي، ص 65.

[2] – محمد خاقاني ومنصورة زركوب، النقد الاجتماعي للأدب، نشأته وتطوره، مجلة اضاءات نقدية، فصلية، السنة 2 ع 6، 2012م، ص 161.

[3]– ينظر ، أنور عبد الحميد موسى، علم الاجتماع الأدبي، ص 18.

[4] – المرجع نفسه ، ص 57 .

فالرّوائي هو مُعبّر عن طموحات الجماعة التي ينتمي إليها ومُعبّر عن أفكارها.

وهذا المنطلق يقضي بأنّ الرّواية لا يمْكن أنْ يكون لها شكلٌ واحد في مُجتمع ما، فكلّ طبقة أو فئة اجتماعية لها فنّها الخاص ولها تَصوّرها المُميّز، « حيث تقاس جوْدةُ الأديب بمدى تصويره هموم مجتمعه وطبقته تصويراً صادقاً ودقيقاً »[1] .

وهكذا ينعكسُ الصّراع الاجتماعي حول المصالح الماديّة على المستوى الفكري وتُسهم الرّواية في التّعبير عن هذا الصّراع ويكون المؤلّف مجرّد مُبْرِزْ لهذه الرّؤية ومُبلوِر لها، مُحوّلاً النتاج الروائي والإبداع إلى سلعة خاضعة لقوانين العرض والطلب أو ما يُسمّى بالتّشيُؤ[2]، والأديب من هذا المنطلق هو فاعل اجتماعي قادم من مجتمع مُعيّن وهو المتلقي المفترض لهذا المنتوج الأدبي، « فيُحَوّل الرّواية بهذه الصّفة من عمل إنساني إبداعي إلى مهنة مَحْدودة تكافئها قوانين السّوقْ التي تُفضّل العمل المهني على الهاوي »[3]، وتتحكّمُ في تقييم العمل المتزايد والعجز الفني وتعتمد فكرة التبادل بين المؤلّف والمستهلك والتي لا تتبنّى قِيماً مأمولة تُدافع عنها وإنّما تجعلُ الرّواية صورة للجماعة الاجتماعية متمثّلة في مُبدعها [4].

وهكذا نستخلص أنّ علاقة الرّواية بالمجتمع هي علاقة تفاعل متبادل واندماج وتكامل بين المبدع ومجتمعه وعمله الأدبي .

---

[1]– أنور عبد الحميد موسى، علم الاجتماع الأدبي ، ص 05.

[2] – ينظر المرجع نفسه ، ص ص 116 – 122

[3]– بيير زيما ، النقد الاجتماعي، ص 131.

[4] – ينظر ، أنور عبد الحميد موسى ، علم الاجتماع الأدبي ، ص 122

الفصل التطبيقي:

" تجلّيات القضايا الاجتماعية

في رواية القاهرة الصغيرة لعمارة لخوص"

أولا : القضايا الاجتماعية في الرواية

أولا- القضايا الاجتماعية التي عالجتها الرّواية :

لقد اختار الرّواي " عمارة لخوص " لروايته القاهرة الصّغيرة منهجا خاصا، إذ جعلها أشبه بالملف المتكامل من القضايا الاجتماعية المعاصرة التي تؤرّق الفرد أنذاك، ساردا إياها على شكل لوحات متناوبة على لسان شخصياته ومقدما رأيه في تلك القضايا بموضوعية وحياد قدر المستطاع ، فاسحا بذلك المجال للقارئ كي يندمج في التفكير والتّحليل دون أن تفوته لذّة المتعة والتّشويق مع الإثارة بين طيّات تلك العروض.

ومن أهمّ القضايا التي طرحها الرّاوي للمناقشة والعرض:

1- قضيّة الهجرة :

تعدّ الهجرة ظاهرة اجتماعية وجدت ومازالت موجودة في كل زمان ومكان ، فهي حركة طبيعية تحدث في المناطق التي تقل فيها فرص العمل والدخل ، إلى المناطق الأحسن ظروفا والأيسر حالا ، وقد يختلف الهدف والغرض من الهجرة من مجرد هجرة للعلاج أو الدّراسة إلى هجرة دائمة بحثا عن عمل أو الاستقرار .

وتختلف طرق الهجرة ، « فنجد منها الشّرعية وهي التي تنظمها قوانين وتحكمها تأشيرات دخول وبطاقات إقامة تمنحها السلطات المختصة بالهجرة والجوازات ، وأخرى غير شرعية تتم عبر اجتياز الحدود دون موافقة سلطات الدولة الأصل وكذا الدولة المستقبلة أي تتم بشكل غير قانوني »[1]

ونظرا لأن الرّواية من أكثر الأجناس الأدبية حساسية نحو المجتمع ، وأشدّها ارتباطا بالواقع ذلك لأنّها تستلهم موضوعاتها من بنيّة المجتمع ، فقد ولدت من رحمه ولأجله كتبت هدفها تصوير كل ما يتعلّق به ، فإننا نجد أن الرّواة قد اهتموا ببعض القضايا الاجتماعية

[1] – ينظر ، سامح محمد جمال أحمد حافظ ، ظاهرة الهجرة غير الشرعية في مجتمعنا الغربي ، اقرأ للنشر والتوزيع الإلكتروني ، 3 ديسمبر 2023 ، ص 4.

وخاضوا في طرحها في كتاباتهم ، من بينها قضيّة الهجرة التي شكلت مصدر عطاء وإلهام لهم ، فسالت أقلامهم بحبر سواده للحديث عن معاناة المهاجرين ، ومن بين هؤلاء الرّوائي الجزائري " عمارة لخوص " في " روايته القاهرة الصّغيرة " .

حيث تحدّث عن الهجرة كمشروع مهيمن على أفكار الكثير من الشّبان في البلدان العربية والإفريقية ، فصوّر لنا ما يثيره المهاجر من شفقة بين الايطاليين ، وبالمقابل يصف مشروع الهجرة كقيمة مهيمنة تسرد واقعا محتلا للأفارقة في أوروبا ، إنّه واقع افتراضي إقصائي للهويّة العربية والإفريقية ، و رغم أنّها تبدو في ظاهر الأمر بشكل يوحي بنوع من التقبّل والشّفقة ،إلا أنّها تحمل في طياتها حقدا دفينا وإقصاءً تاما للمكوّن الإفريقي داخل مجتمعها ، فيقول "عيسى" التونسي الجنسية موضّحا ذلك « فهمت من البنغالي مسألة كنت على علم بها ولا أعي مداها ، لكلّ مهاجر مشروعه يسعى إلى تحقيقه ويضعه نصب عينه كبناء بيت أو الزواج ، بالمقابل ننظر نحن الإيطاليين إلى المهاجر على أنّه مسكين يحتاج إلى الشّفقة ونخلط بين المهاجرين واللاجئين الفارين من الحروب »[1]

وترتبط الهجرة عادة بمصطلحي الاغتراب والحنين ، وقد صوّر لنا لخوص معاناة المهاجرين وما يلحق بهم من ألم الغربة فقال على لسان " عيسى " « أشعر أني غريب عن نفسي الحق أنني غريب عن روما » [2]، وفي موضع آخر يقول « كنت أشبه بحيوان يبحث عن مأوى » [3]، ففي بلاد المهجر يشعر الإنسان بالتيه والغربة حتى عن نفسه ، ناهيك عن الحنين الذي يصيبه للوطن والأهل والأحباب تقول " صوفيا " « كم أنا مشتاقة لرؤيتهم واحتضانهم ، تتدافع الدّموع إلى مقلتي » [4]، فالمهاجر كائن ينتمي إلى مجتمع ما ،

---

[1]– عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، دار الإمام مالك ، منشورات الحبر ، الجزائر ، د، ط ، 2022 ، ص ص 53 – 54

[2]– المصدر نفسه ، ص 12

[3]– المصدر نفسه ، ص 13.

[4]– المصدر نفسه ، ص 64

فهو بلا شك يفتقده في بعده عليه ، ويشتاق ويحنّ إليه ، لكن هيهات له أن يتمكّن من زيارته بسبب كثرة التّكاليف فتقول " صوفيا " « مضت سنتان على غيابنا عن مصر ، لماذا كل هذا الغياب ؟ الإجابة بسيطة ، نتجنّب العودة إلى الوطن سنويا بسبب تكاليف السفر ، فتذكرة رما– القاهرة ذهابا وإيابا باهظة، ولا ننسى الهدايا للأقارب في السّفرية الماضية طلبنا سلفة لمجابهة المصاريف» [1]، وفي موضع آخر « يفضّل العديد من المصريين تأجيل عودتهم إلى أرض الوطن تجنّبا لمتاعب الدّيون »[2]

وبنوع من الكبرياء يحاول المهاجر إخفاء حقيقة فقره واحتياجه عن الأهل حتى لا يوصف بالفشل « أخشى ما يخشاه المهاجر أن يعدّ من الفاشلين ! »[3]، ويكتفي بتبرير عدم زيارته بقوله « ما فيش نصيب السنة دي ، إن شاء الله السنة إللي جاية »[4].

هناك ظاهرة أخرى يتعرّض لها المهاجر ، وهي ظاهرة الاستغلال ، وقد صوّر لنا لخوص في القاهرة الصّغيرة نوعا من أنواع الاستغلال ، وهو الاستغلال الاقتصادي ويتجلّى ذلك من خلال« أرباب العمل يتهربون من الضرائب ويفضلون استغلال المهاجرين بلا استثناء » [5]، وفي موضع آخر « خذ بالك من تيريزا ، دي مكارة ، هتطلب منك 250 يورو عشان هي محتاجة فلوس بتاعة السّياحة »[6] ، فالمهاجر تفرض عنه واجبات لا يستطيع تنفيذها ، وهذه الواجبات في حقيقة الأمر عبارة عن استغلال الأوربيين لهؤلاء المهاجرين ، والمهاجر إذا استغل من الناحية الاقتصادية ، يُهمّش في حياته سواء العملية أو اليومية إذ لا يحقّ له التمتّع بأدنى الحقوق .

---

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة، ص 59.

[2]– المصدر نفسه ، ص 61

[3]– المصدر نفسه ، ص 61

[4]– المصدر نفسه ، ص 64

[5] – المصدر نفسه ، ص 117

[6] – المصدر نفسه ، ص 50

ومن المعروف أنّ الهجرة هي مغادرة الوطن هروبا من الفقر وسعيا لحياة أفضل ، لكن قد يفتقد المهاجر إلى أبسط متطلبات الحياة ، كبيت يأويه مثلا ، فيظطر إلى أن يتقاسم الشقة مع عدد من المهاجرين ، يقول " البنغالي " متحدثا إلى " عيسى " عندما سأله كيف يستطيع العيش مع أحد عشر شخصا « بالتّأكيد عشت مع عشرين شخصا في بيت واحد»[1]، وفي موضع آخر يتحدّث " عيسى " عن مكان إيوائه قائلا « ألقيت نظرة على المطبخ والحمام والغرفتين ، حسبت في ذهني عدد الأسرة ، ستة أسرة بطابقين ، المجموع هو إثنا عشر سريرا ، هذا المكان هو مبيت وليس شقة بالمعنى المتعارف عليه »[2]

وقد نبهنا لخوص إلى أنّ هناك نوعين من المهاجرين ، النوع الأول مهاجر غير شرعي (حرّاق) الذي يعطي للأوروبي الحق في إقصائه لأنه لم يلجأ إليهم بشكل قانوني ، وهذا ما يجعله مقصى من الانتماء إلى أية جهة (مجهول الهوية) ، هذا النوع يعيش حالة من الفزع الدائم بسبب خوفهم من الاعتقال والاحتجاز في مراكز موحشة ومن ثمّ التّرحيل من البلد ، فنجد هذه الفئة ترتعد خوفا من سماع اسم الشرطة وخصوصا الكرابنييري وهم أشدّ قوات الأمن شراسة يتعرّض هؤلاء المساكين للابتزاز باستمرار ويتحملون المهانة وسوء المعاملة وكثيرا ما يتجرّعون مرارة المشهد الآتي « " الآن سأستدعي الشرطة أيّها المهاجر الحقير"من فضلك يا سنيور ، لا تعرّض حياتي للخطر" ، " تخاف من الشرطة إذن ؟ ماذا يحدث لو اتصلت بالكاربنييري ، هل ستبلل سروالك ؟! " ، " لا تفعل ذلك ، أستحلفك بكل غال عندك " » [3] هذا المقطع بيّن لنا صورة المهاجر الذليل الذي يتوسّل من أجل الظفر بحياة مستقرة ، وما يتعرّض له من إهانة وظلم واحتقار واستهتار .

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 55

[2]– المصدر نفسه ، ص 53.

[3] – المصدر نفسه ، ص 73

أمّا النوع الثاني فهو المهاجر القانوني (الشرعي) ، وهذا النوع يمكنه أن يعيش حياة عادية ، بل لهم تراخيص وحقوق يمنحها لهم البلد الأوروبي « أمّا المهاجرون القانونيون فإنهم يستفيدون من تخفيض الإيجار بمقدار خمسين يورو ، هذا من كرم تيريزا وتمييزها العنصري »[1] كذلك ما جاء على لسان " حنفي " : « إديها 200 يورو ، أنت عندك الوثائق ، ما تخليهاش تعاملك زي اللي ما عندهمش ولا حاجة » [2]

كما أنّهم يعيشون في أمن لا يخافون لومة لائم ، ولا ترتعد فرائصهم لذكر كلمات مثل الشرطة والكاربنييري والترحيل ومراكز الاحتجاز « " الآن سأتصل بالشرطة "، "سأعطيك رقم التلفون يا ابن .... " ، " لا تخاف من الشرطة ، إذا سأتصل بالكاربنييري" ، "ماذا تنتظر يا ابن .... الخنزيرة ؟! " » [3]

من خلال المقطعين السابقين نلاحظ الفرق بين الخطاب الذي دار بين المهاجر غير القانوني والأوروبي ، وبين المهاجر القانوني والأوروبي ، فالأول كان المهاجر يتحدث بأسلوب يظهر فيه الخوف والذل والتوسل وعدم الثقة بالنفس ، في المقابل نجد الأوروبي يخاطبه بأسلوب تهديد يصاحبه احتقار واستهزاء ، أما الثاني فنجد أن المهاجر يتكلم بقوة واثق من نفسه ، والأوربي يخاطبه بأسلوب تهديد يحاول إذلاله لكنّه لا يستطيع .

ولم يغفل لخوص عن التميّيز العنصري والعنف الذي يلحق بالمهاجرين ، ففي يوميات الفضاء المشترك مع الآخر الأوروبي ، وبمجرد أي موقف بسيط ، لا يتردّد الآخر عن ازدراء المهاجر والانتقاص من قيمته ، وتذكيره بهويته وتهديده ، بل قد يمتد فعله إلى أشكال العنف الأخرى ، وهو ما حدث مع " صوفيا " عندما ذهبت لاقتناء بعض الخضروات فتقول : « ولما جاء دوري ، سبقني رجل في الخمسينيات من عمره ، في

[1]– عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 73

[2] – عمارة لخوص ، المصدر نفسه ، ص 50

[3] – عمارة لخوص ، المصدر نفسه، ص 73.

البداية ظننته لم يرني ولكني كنت مخطئة ، لقد فعلها عمدا ، نظر إلي باستخفاف ووقاحة وقال لي : " جئت قبلك ! هل تفهمين الإيطالية ؟ " ، " أنا أفهم الإيطالية جيدا . أنت قليل الأدب " . " مومياء وتتكلم ! لماذا لا ترجعين إلى بلادك ؟ لماذا تأتون إلى هنا لاختلاق المشاكل وتدبير التفجيرات ؟ " ، " أنت غبي " ، " اذهبي أنت وبرقعك إلى أفغانستان إذا لم تنصرفي حالا ، سأفقد صوابي وأشبعك ضربا " دفعني الغبي بيده ففقدت توازني وسقطت»[1].

من خلال هذا المشهد أراد الراوي أن يوضح موقف الأوربي من المهاجر الذي كان ولا يزال عنوانا للإجرام والوحشية ، فما من حادث يقع إلا وكان المتهم الأول من المهاجرين .

ولم يكتف الرجل الإيطالي بنعت " صوفيا " بمختلف النعوت السلبية ، بل تعداها إلى الدفع الجسدي ، وهذا الموقف يبين عمق العداء العنصري الذي يكنه الإيطالي للمهاجرين ، وقد اعتمد هذا الرجل في عنصريته اتجاه " صوفيا " على عاملي اللغة والدين ، وذلك لتأكيد انغلاقه على هويته الإيطالية ، وعدم قبوله للتّعايش مع الهويات الأخرى .

إضافة إلى ذلك فقد رسم هذا الرجل صورة نمطية للمهاجرين على أنهم سبب المشاكل والتفجيرات ، رغم أنّه هو من تسبّب في افتعال المشاكل والشجار ، ولهذا شعرت " صوفيا " بالظلم فقالت « هذه ليست المرة الأولى التي أتجرّع فيها مرارة العنصرية ، أنا واثقة من أن حجابي مجرد ذريعة ، فالراهبات أيضا يرتدين لباسا كالحجاب تماما ، لماذا لا ينغص أحد عليهن ؟ »[2]

[1]– عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ص 124

[2] – عمارة لخوص ، المصدر نفسه، ص 125

والواضح أنّ المسألة لا تتعلّق بالحجاب كلباس فقط ، وإنّما بالحجاب بوصفه ثقافة وهوية وانتماء ، وهم كما ذكرنا سابقا يرفضون التّعايش مع الغير ، ولهذا بقيت مترسّخة عندهم الممارسة العنصرية من طرف الإيطالي المحلي على المهاجر الأجنبي ، رغم أن الدستور الإيطالي يضمن حريّة الاعتقاد ويتّضح ذلك من خلال هذا المقطع : « واستشهد أبو بكر أكثر من مرة بالبندين الرابع والتاسع عشر من الدستور فيقول : " لكل المواطنين نفس القدر من الكرامة الاجتماعية ، وهم سواسية أمام القانون دون تمييز في الجنس أو العرق أو اللغة أو الدين أو الأفكار السّياسية أو الأوضاع الشّخصية والاجتماعية " »[1]

هذا وقد ظلت تيمة الهجرة في الفكر الأوربي مرادفة للتّمرد والإرهاب الذي سنتحدّث عنه لاحقا ، ولعل هذه الفكرة وليدة العصر كون المهاجرين المسلمين خاصة المصريين منهم أصبحوا يتوافدون على أوروبا بطريقة خيالية تقول " صوفيا " « في الأيام الأولى من وصولي خُيِّل إليّ أني لا أزال أعيش في القاهرة لكثرة ما رأيت من المصريين ، وكنت أتساءل بين التّعجب والحيرة : " يا عالم يا هو ، هي روما راحت فين ؟! " »[2]

ورغم كل ما يتعرّض له المهاجر من عنف واستغلال وإذلال إلا أنّه يصرّ عليها ويرفض العودة لديار الوطن لقناعته وخلفياته الخاصة .

2- قضيّة الإرهاب والتطرّف :

لقد لاقت قضيّة الإرهاب رواجا كبيرا في المجتمعات الغربية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 ، ويقصد به « ذلك العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان في دينه أو دمه أو عرضه أو عقله أو ماله ، ويشمل كل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق ، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد الذي يقع تنفيذا

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 196

[2] – عمارة لخوص ، المصدر نفسه ، ص 46.

لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ، بهدف إلقاء الرّعب بين الناس أو أذاهم أو إلحاق الضرر بالمنشئات الوطنية فهو فساد في الأرض »[1]. وقد يتغذى الإرهاب ويتطوّر في ظلّ ظروف ومعطيات خاصة .

« فالإرهاب لا ينمو إلا عندما تفقد العين القدرة على التميّيز بين الإرهاب والشّرعية وإلا عندما ينادي البعض بأنّ هناك إرهاب مشروع وإرهاب غير مشروع وهذا من خلال ربطهم بين الإسلام والإرهاب » [2]. حيث استفحلت هذه الفكرة لدى الغرب بسبب أحداث سياسية بارزة وأيّدت ربطهم بين الإسلام والإرهاب .

« فهم يرون بأن المجتمع الإسلامي بمؤسساته وجمعياته هو البيئة الحاضنة التي يتحرك فيها النشاط الإرهابي وأن الإرهاب هو ثمرة الإسلام السياسي » [3].

وهذه الفكرة لم تنبع من العدم « ولكن بعض الجماعات المتطرفة التي تحرم الآخرين من حق ممارسة الرأي معهم وتسعى إلى فرض رأيها بالعنف والإرهاب وكل من يختلف معها فهو كافر يُستَحلُّ عِرضه ودمه ، هي التي رسخت هذه الفكرة في الأذهان »[4] .

إنّ قضيّة مكافحة الإرهاب والبحث عن الانتحاريين وترقّب ومتابعة الجماعات الإرهابية والتنظيمات المسلّحة داخل المجتمع الغربي هي القضيّة الأساسية في رواية القاهرة الصّغيرة . والتي تدور حولها كل الأحداث، حيث احتلت المساحة الأكبر إلى جانب قضيّة الهجرة ، فالمهاجر المسلم أو العربي في البلاد الغربية هو إرهابي أو مشروع إرهابي وهذا ما يعتقد به الفرد الأوروبي وتروج له وسائل الإعلام ، جاء في الرّواية « تتحامل وسائل

[1] – ينظر : البيان الصادر من مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة دورته السابعة عشر ، 13 – 1424/10/17 هـ الموافق لـ : 13-17 /2003/12 م

[2] – فرج فودة ، الإرهاب ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر الجديدة ، د ط ، 1992 ، ص 23

[3] – علي حرب ، الإرهاب وصناعته (المرشد والطاغية والمثقف) ، ناشرون الدار العربية للعلوم ، بيروت – لبنان ، ط1 2015 م ، ص 08

[4] أنور محمد ، الإسلام والمسيحية في مواجهة الإرهاب والتطرف ، دار أيهم للنشر ، د ط ، د ت ، ص 09.

الإعلام الايطالية على الإسلام والمسلمين أينما وجدوا ومهما فعلوا »[1] ، هذا ما قاله فليشي المهاجر المصري وما يعتقد به حسب ما يعايشه من ظروف في ايطاليا .

إنّ فكرة المسلم الإرهابي هي نتاج لحقد دفين على العرب منذ الحرب العالمية الثانية لِمَا تم تداوله والإيمان به في أن مجندين مغاربة كانوا يحاربون تحت راية فرنسا قاموا باغتصاب فتيات ايطاليات هذا هو تفسير محمد المغربي – مغترب في ايطاليا – لكره الايطاليين لهم « ارتبط أمر اغتصاب الايطاليات بالجنود المغاربة خلال زحف جيش الحلفاء على روما أثناء الحرب العالمية الثانية وهذا ما جذر من الكراهية اتّجاه المغاربة خصوصا والعرب عموما»[2] وما زاد الأمر سوءا وحفز هذا الحقد ودعمه هو الحدث الأمني البارز الذي أحدث نقلة نوعية في حياة المهاجرين في الغرب وجعلهم في دائرة الاتهام هو أحداث 11 سبتمبر 2001 التي مست بالأمن الغربي وأرعبتهم ثم تبنت هذه التفجيرات فيما بعد تنظيمات تنشط تحت راية الإسلام « الإرهابيون موجودون فعلا لم تخترهم وسائل الإعلام من العدم ، لقد برهنوا للعالم أجمع على مدى قدرتهم وعزيمتهم فتفجيرات 11 سبتمبر 2001 دليل كاف على ذلك » [3]هذا ما يصدق به المواطن عيسى الايطالي ويعتقد به .

إنّ هذا الحدث جعل الغرب ينظرون لكل مسلم على أنه حليف لابن لادن ومن كل مسلمة محجبة هي إرهابية جاءت لتؤذي أمنهم وتدبر لتفجيرات وعمليات انتحارية ، هذا ما صوره المؤلف من خلال عرضه للواقعة التي حدثت لصوفيا المهاجرة المصرية المحجّبة التي تعيش في مجتمع غربي رافض للمسلمين وهي في السوق عندما تهجم عليها مواطن

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 93

[2] – المصدر نفسه، ص 87.

[3] – المصدر نفسه، ص 35.

ايطالي قائلا : « لماذا لا ترجعي لبلدك ، لماذا تأتون إلى هنا ؟ لاختلاق المشاكل وتدبير التفجيرات ؟ اذهبي أنت وبرقعك إلى أفغانستان .... »[1]

ممكن أن يكون الفرد الايطالي على حق في حقده على المسلمين من زاوية حرصه على أمنه واستقرار بلاده والحَمِيّة الوطنية التي تربطه بوطنه ، ولكن ما ذنب المهاجرين الأبرياء الذين جاؤوا سعيا وراء لقمة العيش وفرارا من الفقر والعوز « محمد المغربي : أنا ما درت والو ..... » [2]هل من العدل الانتقام من المهاجرين اليوم بسبب ما فعلته جماعات تتبنّى فكرا متطرفا يختبئ تحت راية الإسلام ، فالمسلمون اليوم يعيشون تحت راية واحدة ولكن من جهات وزوايا مختلفة كل حسب الاتجاه الذي يعتقد به ويدافع عنه ، وهذا ما طرحه المؤلف من خلال عرضه لشخصيتين متناقضتين السنيور حرام الذي يحرم كل شيء ويتزمت في إطلاق الأحكام والفصل في الأمور ويعتقد أنه على حق ، وشخصية السنيور حلال الذي يتبنى اتجاها معاكسا ويتساهل في كل الأمور ويبشر في كل القضايا ، وهذه الفكرة هي التي ولدت تيارات إسلامية متناقضة ومتشاحنة مع بعضها البعض ، وأفرزت فيما بعد حروبا أهلية بين أصحاب الدين الواحد باتجاهاته المختلفة ، وكانت مبرّرا لنعت المسلمين بالإرهابيين .

حيث عرض المؤلّف لهذه الفكرة من خلال مشهد وقع مع فليشي المهاجر المصري لمّا تشاجر مع زبون في محل البيتزا فرمى يمين الطّلاق على زوجته ان لم يغادر هذا الزبون ، ثم بدأ يبحث عن مخرج لورطته « حيث أفتى السنيور حرام بمفعولية الطّلاق في حبن أفتى السنيور حلال ببطلانه وما هي علاقة الزوجة بالموضوع »[3] .هذا نموذج بسيط عن التناقض بين المسلمين فيما بينهم وطريقة قراءة الدين الواحد ومصادر تشريعه بعقائد

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 124

[2] – المصدر نفسه ، ص 87.

[3] – المصدر نفسه، ص142.

متباينة ولّد لنا العديد من التيارات المتطرفة التي لا تمت للإسلام بصلة ، ولكنها حسبت عليه وطبعت بطابعه .

إنّ الحقيقة التي يتبناها أغلب المسلمين اليوم هي تلك الفكرة التي تنفي العلاقة بين الإسلام الإرهاب وتتبرأ مما ترتكبه هذه الجماعات المتطرفة من إجرام ، وتثبت في أذهان العامة أنّ الإسلام هو دين تسامح يمتدح الاعتدال والوسطية ، وهذا ما نادى به علماؤه ودعاته ويؤمن به المسلم العادي.

3 – قضيّة العنصريّة:

ترجع كلمة العنصرية في الأصل اللّغوي إلى العنصر، « فالعُنصرُ والعنصَر، بفتح الصاد والضمُ أشهر والفتح أفصح هو الأصل والحسب »[1].

والعنصري منسوب إلى العنصر، « ويعني التمييز العنصري معاملة جنس من الأجناس معاملة تختلف عن بقية الناس، والعنصرية هي مذهب المتعصّبين لعنصرهم أو لمذهب التمييز العنصري »[2].

أمّا في الاصطلاح هي « محاولات الجماعة التي تمتلك النّفوذ والقوة والسّيطرة إبقاء وضعها المتميّز على الجماعات المستضعفة، ولو أدّى ذلك إلى استخدام أساليب القمع والعنف »[3]

وتطرّقت الرّواية لموضوع العنصرية فقد ورد على لسان صوفيا أنّها تعرّضت للإهانة يوم عرجت للسوق من قبل إيطالي: « لما جاء دوري سبقني رجل في الخمسينات من عمره ، في البداية ظننته لم يرني ولكني كنت مخطئة ، لقد فعلها عمدا ، نظر إليّ باستخفاف

[1]– رضا أحمد، معجم متن اللغة، ، ج4، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د،ط) ، 1996م. ص22.

[2] – أديب اللجمي وآخرون، المحيط، ج2، ط2،(د، د،ن)، بيروت، 1994م. ص889.

[3] – يوسف أبوشوشة، مشكلات معاصرة، دار العدوي، عمان، الأردن، ط1، 1982م، ص40.

ووقاحة وقال لي: "جئت قبلك! هل تفهمين الإيطالية؟ " ، " أنا أفهم الإيطالية جيدا ، أنت قليل الأدب" "مومياء وتتكلّم! لماذا لا ترجعين إلى بلادك؟ لماذا تأتون إلى هنا لاختلاق المشاكل وتدبير التفجيرات؟" ، " أنت غبي " ، " اذهبي أنت وبرقعك إلى أفغانستان، إذا لم تنصرفي حالا سأفقد صوابي وأشبعك ضربا" "دفعني الغبي بيده ففقدت توازني وسقطت، شرعت سارة في البكاء، شعرت بغصة في حلقي تمنع عني الهواء، تحلق الناس حولنا يتفرجون على عرض مسرحي عنوانه المحجبة والغبيّ العنصري...» [1].

تحدّثَ عيسى مع عمر البنغالي عن تلك الحادثة { صوفيا والبغل العنصري}" « عندما همّ الصّعلوك العنصري بأخذ شيء من جيبه " قد يكون سِكّينًا"، رأيتُ شابّاً، يُمسكُ به ويمنعه من استعمال يديه وقد تبيّنتْ هويته وهو الزميل المصري عنتر"

أعرب عمر عن مخاوفه على سلامتي لأنّهُ يعرف جيّدا من هو غريمي، إذْ يلقّبونه "بيستيوني" أيْ الوحش، وهو معروف بعدوانيّته في الحي وله سوابق، كرّرَ البنغالي عدّة مرّات: « هو خرّيج سجون خطير جدا، أكّد أنّ البغل العنصري أقسم على الانتقام منّي...»[2]

وذكرت صوفيا في موضع آخر تقول:« كنت أعتقدُ أنّ المرأة تقع ضحية العنف في مواقع الحروب في أفغانستان والعراق أو في البلدان التي تعيش رهينة الحقد العُنْصريّ، كما هو الأمرُ في إفريقيا أو حيث ينتشر الفقر والجهلُ والتخلّف مثل بلداننا العربية....»[3] ، و ما يُثيرُ الانتباه في الرواية العنصرية المنتشرة في إيطاليا ، يقول إبراهيما لعيسى: « "ما آلمني أكثر ليس الغرامة أو مصادرة السلعة ، وإنما كلمات مهينة تلفّظ بها أحد أعوانُ الأمن " ، " ماذا قال لك؟ " ، " أسود وسخ لقيط ابن العبيد" ، "ابن حرام عنصري" ، " يا أخي

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 124

[2] – المصدر نفسه ، ص 128.

[3] – المصدر نفسه ، ص 150

العنصرية في إيطاليا منتشرة بين الإيطاليين أنفسهم، أنا عشت في ميلانو ورأيتُ كيف يسيئون معاملة الإيطاليين الوافدين من الجنوب.."

لم يَتَجَنَّ إبراهيما على أحد، فالعنصرية متفشيّة في بلادنا، ما أكثر الإيطاليين من أهل الشمال الذين يُكنّون كرهاً واحتقاراً لنا نحن أهلُ الجنوب..» [1].

وتُردف قائلةً: « ذهبت إلى سوق ماركوني، أتمنى أن لا تجمعني مساوئ الصُّدفِ مع الوحش العنصري، أرفضُ التنازل عن حريتي بسبب الخوف، أنا مسلمة مؤمنة، يجب أن لا أخاف إلّا من ربّنا، لا أقبل التهديد والوعيد من أيّ شخصً كان ...» [2]

وحول موضوع العنصرية المنتشرة في أوربا وإيطاليا، فإنّ الأمر يعتبرُ قديما نوعا ما، حيث برز العداء للمهاجرين عموما وللمسلمين على وجه الخصوص في التاريخ الحديث والمعاصر، وكان أساسه النظرة العدائية لكل دخيل على الأوربيين وخاصة ما جاء من الجنوب، الذي يرى فيه الإيطاليين منشأ كل تخلف وشرور." ولم يعد خافيا على المشتغلين بموضوع التمييز العنصري تلك الخطابات التي يردّدها الساسة ورجال المال والأعمال المتعصبين للجنس الإيطالي المتعالي التي تنادي بوقف المهاجرين وإعادتهم إلى بلدانهم، ويجب محاسبة من يساعدهم على الوصول إلى أوروبا، هذا سيشجع أصحاب العقليات العنصرية على ارتكاب أفعال واعتداءات برأيهم ستساعد على تحقيق أهدافهم العديدة وفي مقدمتها جعل إيطاليا خالصة للإيطاليين ، وهذه فكرة صعبة التحقيق في ظل الظروف الراهنة .

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 162.

[2] – المصدر نفسه ، ص 180.

4 – قضيّة الهيمنة الذكورية (ذكورية المجتمع) :

تشمل المجتمعات مختلف القواعد والأنظمة التي تسيرها و تقوم بها ، حيث نجدها تتوفّر على مجموعة من العادات والتقاليد التي تؤسسها وتُكوّن أفرادها ، وأي إخلال بها يمسّ بمبادئ المجتمع وأعرافه ، غير أنّ هذه القوانين منحت الهيمنة والسّيطرة للعنصر الذكري على حساب الجنس الأنثوي ، الذي بات يعاني من التهميش [1] .

وهكذا أصبح للذكر الحق في ممارسة سلطته على المرأة بكل الطّرق معللين ذلك بالاستشهاد بخطابات دينية من خلال قوله تعالى ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ النساء الآية 34 ، وهم في ذلك آخذين بظاهر الآية لا بباطنها .

وقد حملت الرّواية على عاتقها مسؤولية كبيرة تتجسد في التطّرق للموضوعات الحساسة التي يعاني منها أفراد المجتمع ، ومن بينها الهيمنة الذكورية التي شغلت الكُتاب ، كونها الميزة التي كانت سائدة في المجتمعات القديمة ، والتي شقّت طريقها حتى للمجتمعات الحديثة ، ذلك أنّ العرف الثقافي فرض على المجتمعات تقديس الجنس الذكوري ومنحه الأهمية القصوى ، في المقابل تهميش الجنس الأنثوي وحرمانه من حقوقه وفرض واجبات حتمية عليه تجعله يتحمل أعباء مختلفة كان من المفروض أن يتقاسمها مع غيره .

وتعتبر رواية القاهرة الصّغيرة من بين الأعمال الأدبية التي تناولت قضيّة الهيمنة الذكورية ، وتجلّى ذلك فيما جاء على لسان " صوفيا " عندما وصفت لنا حالة والدها وهو ينتظر مولودا ذكرا ، ولكن شاءت الأقدار أن تكون " صوفيا " – البنت الثالثة – هي المولود المرتقب « فلنأخذ على سبيل المثال لا الحصر اسمي أي صفية ، اختاره أبي دون

[1] – ينظر ، زاهية بوجناح ، المرأة بين الهيمنة الذكورية وضغط المجتمع " خطيئة مريم " ل " علاوة كوسة " أنموذجا ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، مجلة تمثيلات الثقافية والفكرية والثقافية ، إبداع ، تواصل ، نقد ، المجلد 5 ، العدد 1 ، جانفي 2021 م.

أن يستشير أحدا ، ما أتعسه ، كان ينتظر ذكرا وبحوزته اسم هو سعد »[1] كذلك « فقد أخبر الحاضرين بنبرة فيها الكثير من التحدي " هيكون اسم البنت على بركة الله صفية زي مرات زعيمنا سعد زغلول " يا له من عزاء جميل ! »[2].

من خلال هذين المقطعين نلاحظ أن عملية اختيار الاسم وإخبار الحاضرين تمت من منظور واحد وهو الأب ، مع تغييب الذات الأنثوية المتمثلة في شخصية الأم ، على الرغم من ارتباط فعل الولادة بها كيانا وجسدا ، وهذا فيه إشارة إلى مركزية السّلطة الأبوية المهيمنة على المشهد الأسري والاجتماعي .

كما تحيلنا هذه المقاطع أيضا إلى عصر الجاهلية ، أين كانوا يفضلون العنصر الذكري ويتطيّروا من المرأة ويعتبرونها رمزا للعار ، فوالد صفيّة كان ينتظر مولودا ذكرا ولكن ما أتعسه عندما علم أنها أنثى ، وهكذا كان من مظاهر الهيمنة الذكورية اشمئزازهم من الأنثى وتفضيل الذكر ، وقد تجلّى هذا كثيرا في الّرواية ، حيث نجد مقطعا آخر جاء على لسان " صوفيا " فتقول « يحضرني اسم جارنا في القاهرة عمي عطية ، كان يحلو له القول " اللي ابتلاه ربنا بالبنات زي اللي ماسك قنابل في يده ، لازم يرميها بعيد بسرعة " عندما كانوا يسألونه عن البنات كان يجيب : " تلت ذكور وأربع قنابل يدوية ، هتخلص منها إن شاء الله وقنبلتين ذريتين ، واحدة عانس والتانية مطلقة " » [3] .

وقد أبرزت الرّواية من خلال ساردها جملا متنوعة تفصح عن الهيمنة الذكورية وسلطة الرجال وتبين ذلك في « من تخاطر في التحليق عاليا ، مصيرها الفشل لأن العائلة ستتولّى مهمة قص الجناحين بلا شفقة !القاعدة الذهبية الأولى لتجنب المشاكل هي عدم منافسة الذكور وطاعتهم ، وبالمقابل يمكن للأنثى أن تنعم بحماية الذكر طول العمر ، من

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 26.

[2] – المصدر نفسه ، ص 27.

[3] – المصدر نفسه ، ص ص 32-33

الأب إلى الأخ ومن الزوج إلى الابن ، وإذا أرادت المرأة عندنا الابتعاد عن أوجاع الرأس ، ما عليها إلا أن تتقمّص دور النعجة ، نعم ، نعجة ، من الأفضل أن تكون نعجة مطيعة ، وإذا سوّلت لها نفسها الأمارة بالسوء أن تغادر القطيع ، فمصيرها الموت بين أنياب الذئاب ! واضح ؟ » [1] ، هذا المقطع قيَّد المرأة وأخضعها تحت الهيمنة الذكورية ، فحتى تنعم بحياة هادئة ومستقرة لا بدّ لها من أن تخضع لسلطة الرجال خضوعا مطلقا .

كذلك ما جاء على لسان " صوفيا " « المشكلة الأساسية أننا نعيش في مجتمع حيث يكون الرجل هو الخصم والحكم في آن واحد ، ما العمل ؟! هل يمكن إحراز الفوز في مثل هذه الظروف ؟ » [2]و قولها أيضا في موضع آخر « المرأة عندما تتزوج تنتقل من كفيل إلى آخر ، من سلطة الأب إلى سلطة الزوج ، كمحل تتحوّل ملكيته من مال إلى آخر . » [3]، وهكذا نلاحظ طغيان صور السّلطة الذكورية من خلال سلب حرية المرأة ، وخضوعها لسلطة المؤسسة الاجتماعية التي يمثل الرجل مركزها .

كما تظهر لنا صورة الهيمنة من خلال مشهد آخر جاء على شكل حوار بين " صوفيا " وزوجها الباش مهندس " سعيد " المدعو " فليشي " وذلك عندما فرض عليها الحجاب رغم رفضها له : « " قلت إيه ؟! ما اسمعتش كويس ، ممكن تقول تاني اللي قلته دا لو سمحت" ؟! ، " لازم تلبسي الحجاب يا روحي " ، " انت بتهزّر مش كدا ؟! كنت هأصدقك والله دانت يا شيخ مصري بالقوي ، تعرف تمثل كويس قوي قوي ، ها هاها " " لا ، أنا مش بهزر خالص ، دا شرط ، اللي أوله شرط ، أخره يا روحي » [4] وهنا تتملك " صوفيا " حسرة كبيرة من جراء خطاب الباش مهندس المُصِر على ارتدائها للحجاب ، وهي التي كانت ترى فيه سبل خلاصها من ثقل التّقاليد العربية ، حيث كانت تعتقد أن خطيبها

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص33

[2] – المصدر نفسه ، ص ص 43-44

[3] – المصدر نفسه ، ص 65.

[4] – المصدر نفسه ، ص 43.

المهاجر قد تخلّص من عبء المورث والتّقاليد ، وتشبع بقيم الانفتاح والحوار طالما أنّه يعيش في إيطاليا ، لكنّها تصدم ببقائه على عقلية الرجل الشّرقي المهيمن على البيت ، السّاعي إلى فرض سلطته ورقابته على الزوجة ، « ففي لعبة الزواج يعمد الرجل إلى نوع من التّربية التي تعتمد على تلقين المرأة تذليل رغبتها لخدمة الرّغبة التي تقهرها ، وتتيح للرجل أن يزرع فيها رغبته هو بالذات مخيلا إليها أن الرغبة هي رغبتها» [1] ، وبالتالي امتلاك زمام سلطة البيت والعائلة .

هذا ناهيك عن العنف الذي تتعرّض إليه المرأة ، والذي يعدّ أيضا صورة من صور السّلطة والهيمنة ، سواء كان هذا العنف معنويا أو جسديا ، وقد لاحظنا هذا جليا من خلال الحوار الذي دار بين " صوفيا وزوجها " فليشي " عندما وجد عندها نقودا فتقول « حدث كل شيء بسرعة كعاصفة قويّة ومفاجئة ، فيما كنت نائمة ، أيقضني الباش مهندس زوجي بعنف ، فتحت عيني مذعورة »[2] ، « اكتسح صوته أذني بعدوانية ، قال لي صارخا " هي الفلوس اللي لقيتها وراء الكنبة دي بتاعة مين ؟ " ، " دي فلوسي " ، " جيبتيهم منين ؟ " ، "مش عايزة أقول لك " ، " إيه ؟!" » [3]، « وراح يصرخ من جديد : " جبتي منين الفلوس دي ؟ " ، " مش عايزة أقول لك " ، " هتقولي لي وغصب عنك كمان " » [4]، « قلت له " أرجوك ، الوقت متأخر قوي مش وقت الكلام دادلوقتي " ، " في داهية ، أنا أسألك سؤال وعايزك تجاوبيني" ، " شكلك تعبان ، استريح شوية " ، " ما تستفزنيش يا ولية أحسن لك " " طيب طيب ، بس ما تعليش صوتك ، البنت نايمة " ، " مش ههدأ غير لما أعرف جبتي الفلوس دي منين " ، " طيب ، هقول لك كل حاجة بعدين " ، " لا بعدين ولا قبلين ، انطقي

[1] – الطاهر لبيب ، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، أوت1999 ، ص 37.

[2] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 203 .

[3] – المصدر نفسه ، ص203.

[4] – المصدر نفسه ، ص 204.

دلوقتي حالا »[1] ، « قرّرت التزام الصمت حتى إشعار آخر ، حاولت كسب الوقت ، لكن الباش مهندس كان مصمّما على الأمر عايز أعرف الحقيقة، أرجوك خلينا ننام ، إحنا تعبانين ، مش عايز أنام ، عايز أعرف الحقيقة ، بقول لك إيه ؟ مش عايزة أتكلم في الموضوع دا اوعى يا ست هانم تكوني فاكرة إنك ممكن تتحكمي امتى نتكلم وامتى نسكت ؟! لازم تفهمي ان أنا الراجل في البيت دا ، أنا مش جارية عندك ، إنتي مش جارية ، دانتي شرموطة ، هي حصلت ! يا نهار أسود ! ، أيوه إنتي شرموطة عشان الشراميط هما بس اللي يكسبوا فلوس من غير ما يشتغلوا" » [2]، « صفعني بقوة فسقطت على الأرض ، بدأ الدم يسيل من أنفي » [3] .

من خلال هذه المقاطع، تبين لنا كيف أن سلطة المؤسسة الاجتماعية التي يعتبر الرجل مركزها، تمارس سلطتها على الأنثى بشكل واضح ، وحجتها في ذلك أن الرجل هو المسير الوحيد ، وأن المرأة مجرد آلة تصلح للإنجاب والطبخ لا أكثر ، بمعنى تنفيذ ما تؤمر به ولا سبيل لها للدفاع عن نفسها ولو كانت مظلومة وأجحفت في حقها ، وهذا ما يعتبر طمس لهوية الأنثى ، وفي المقابل هيمنة للجنس الذكري.

5- قضيّة الفقر:

يختلف مفهوم الفقر ودلالته حسب المعايير المحدّدة لخط الفقر في كل بيئة حيث يعرف عند البعض على أنه « تلك الحالة التي لا يستطيع فيها الفرد الحصول على حد أدنى مقبول من الرفاه الإنساني، ومن ثم فان الفقر لا يعني انخفاض الدخل في حد ذاته ، ولكن عدم كفايته لنشاطات القدرة الإنسانية كالغذاء والصّحة والتّعليم »[4] .

---

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص204

[2] – المصدر نفسه ، ص 205

[3] – المصدر نفسه، ص 206.

[4]– سمير التنير ، الفقر والفساد في العالم العربي ، دار الساقي ، ط1 ، بيروت لبنان ، 2009م، ص 46.

ولعل من أهمّ أسباب الفقر هو البطالة واللامساواة في توزيع الثروات وهذا ما جعله ينشر ظلاله بين الأفراد المهمشين الذين سيطر عليهم الإحساس بالغربة في أوطانهم ودفعهم للتطلّع إلى الهجرة .

لم يتناول مؤلّف القاهرة الصّغيرة هذه القضيّة تناولا مستقلا ، وإنّما كان تناوُله لها بشكل مرتبط مع معاناه المهاجرين في بلاد المهجر ، والظروف الصّعبة التي يقاسونها هناك هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان مندمجا مع ظروفهم الأصلية وظروف عائلاتهم في بلدهم الأم والتي أجبرتهم على الهجرة وتكبد ألم الغربة والقمع والعنصرية ، ففي بعض الأحيان نجده مهاجرا غير قانوني (حراق بلا وثائق) يعيش هاربا و متخفيا من الأمن والسّلطة متقبلا لجميع أشكال الذل والاستغلال ، أمّا إذا كان متحصلا على إقامة ومُسوبا لوضعيته القانونية فالأمر يكون أرحم نوعا ما.

لقد صوّر لنا المؤلّف في هذه الرّواية صورة حقيقية عن ظروف المهاجرين داخل وخارج الوطن وهذا من خلال شخصيات متنوّعة ، حيث حمّل كل شخصية قصّة معاناة وحرمان عائلة يتولّى فرد مسؤولية انتشالها من مستنقع الفقر والعوز والحاجة ، أو مسؤولية تحقيق مآرب دنيوية تضمن له حياة كريمة حتى لو تطلب الأمر نوعا من التنازلات فمثلا نجد : المهاجر" سعيد " (فليشي) اختار مهنة طاهي بيتزا الذي يتقاضى أجرا زهيدا مع أنها لا تتناسب مع مستواه الدراسي كمهندس معماري ، ولكنه تقبل الوضع واندمج معه على أمل أن تتحسن ظروفه في يوم ما وعلى أمل أن يُكوِّن نفسه في بلاد الغربة ، ثم يعود إلى أرض الوطن لتحقيق أحلامه وطموحاته كشاب جامعي يعمل في تخصّصه .

« تخرّج من جامعة القاهرة كلية الهندسة المعمارية ، ولا يزال متمسكا بالأمل في أن يمارس مهنته الأصلية التي أفنى من أجل دراستها سنوات من عمره »[1].

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص116.

– إبراهيم السنيغالي يعمل كبائع متجوّل ترك أرض الوطن واختار الهجرة من أجل أن يُعيل أسرته المتكوّنة من خمسة أفراد ومن أجل أن يحقق حلمه في أن يرى ابنه طبيبا ولكن ...

« الأحلام ليست بالمجان تتطلب تمويلا متواصلا حتى تتحقق وهو يرسل حوالة شهرية مقدارها 200 يورو لأسرته في السنغال » [1].

– صوفيا زوجة فيليشي تعمل كحلاقة نسائية خفية عن زوجها من أجل ترميم الكوارث التي تسبب بها ختان البنات لأختها زينب « كم يكون رائعا لو أجرت زينب العملية ، إني أبذل كل ما في وسعي لمساعدتها ، وتوفير بعض المال لدفع مصاريف العملية »[2].

– محمد المغربي يعمل كنجار ، اضطر لإرسال أسرته إلى أرض الوطن لأنه لا يقوى على تحمّل أعباء المعيشة الصّعبة هنا ، إضافة إلى وضعيته القانونية ، وهذا ما انعكس سلبا على صحته النفسية والجسمية « أنا مانيش بخير مع راسي ، أنا مصخصخ ، مشيت عند الطبيب واعطاني حبوب باش ننعس »[3].

– عمر البنغالي : يعمل في محل لبيع الخضار في الحي من أجل تسديد ديون العائلة ومن أجل أن يستطيع بناء مسكن للأهل ، وتجهيز إخوته للزواج والتكفّل بمصاريف تعليم إخوته الصغار وهو مع كل هذه المعاناة فهو راض عن نفسه ويسعى من أجل تحقيق طموحاته « ارتاح عندما أعود لبنغلادش وأتزوج » [4]

وأشمل صورة لمعاناة المهاجرين وفقرهم هي ذلك البيت المستأجر الذي يتكوّن من غرفتين يشترك فيها اثنا عشرة مهاجرا لأنهم عاجزون عن كراء منزل منفرد لكل واحد

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة، ص 183

[2] – المصدر نفسه، ص 156.

[3] – المصدر نفسه ، ص 85.

[4] – المصدر نفسه، ص55.

« عدد الأسرة ستة أسرة بطابقين المجموع هو اثنا عشرة سريرا ، هذا المكان مبيت وليس شقة بالمعنى المتعارف عليه » [1]

هكذا كان لكل مهاجر قصّته في مكافحة الفقر بأي وسيلة ، وما ترتب عنها من تكلفة عاطفية وضغوط نفسية مصاحبة لتركهم لأوطانهم ، ولكن معظمهم لم يتمكّنوا من تحقيق أحلامهم في حياة أفضل تتماشى مع طموحاتهم التي جاؤوا من أجلها ، ولكنّهم مازالوا يكابرون وكلهم أمل في واقع ومستقبل أفضل مادام في إطار المباح المسموح ، وفي نفس الوقت خوفا من الاعتراف بالإخفاق أمام مجتمعاتهم التي أوهموها بنجاحهم وانتصارهم على الفقر .

6- قضيّة المساكنة وتعدّد الزوجات :

ترتبط هذه القضيّة بمفهوم الأسرة بالدرجة الأولى حيث تُصنَّف (الأسرة) على أنّها « قاعدة الحياة البشرية وهي الوحدة الأولى في بناء الجماعة ، وهي أصل الفروع الإنسانية لذلك أولى الإسلام شديد العناية بها ولم يشأ أن يتركها عرضة للمشاكل التي تصدّع بناءها فوضع لها نظم دقيقة عادلة وتشريعات حكيمة لو طبقت بأمانة لسعد المجتمع واستقر»[2].

ومن بين القضايا التي تمسّ الأسرة ويحتدم الجدل حولها كلما فكرنا في تنظيمها هي قضيّة تعدّد الزوجات « وهي ظاهرة موجودة في كل البلاد ولا علاقة لها بالبدائية أو التخلّف ، ولكن بسبب بعض المشاكل الناتجة عنها ، اعتمدت بعض المجتمعات حظرها وتحريمها في حين رأت مجتمعات أخرى بإباحتها وجوازها »[3].

---

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة، ص 53.

[2] – عبد التواب هيكل ، تعدد الزوجات في الإسلام وحكمة التعدد في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، دار القلم ، بيروت ، د ط ، 1399 هـ ، ص 13 .

[3] –عبد الناصر توفيق العطار ، تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية ، مكتبة المهتدين ، مصر ، ط5 ، د ت ، ص 06.

لقد طرح المؤلّف في روايته القاهرة الصّغيرة هذه القضيّة الحساسة على لسان شخصياته قصد مناقشة الفكرة وتوضيح الصورة وما ينطبع عنها من وجهات نظر مختلفة.

حيث ترى صوفيا الزوجة المصرية أن الرجل المسلم لن يخون زوجته مع امرأة أخرى ليس لأنه يحبها بل خشية من الله وخوفا من الوقوع في الزنا الذي يحرمه الدين الإسلامي ولكنه في المقابل مشروع له تعدّد الزوجات ، وليس من السّهل على الزوجة أن تتنافس مع ثلاث زوجات من أجل رجل واحد . يقول المولى عز وجل ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمُ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتَ ايْمَانَكُمْ ﴾ سورة النساء 03 ، وهنا يستدل الكاتب بجواز التعدّد بشرط يراه صعب التحقيق ، وهو شرط العدل بين الزوجات كما جاء على لسان " صوفيا " « من السّهل رؤية القمر في الظهيرة من معاملة أربع زوجات بطريقة مماثلة عادلة » كما أضافت « إن معركة تعدّد الزوجات في بلادنا معركة خاسرة مسبقا لأن الرجل هو الخصم والحكم في آن واحد والتعداد ليس في متناول جميع الجيوب... » [1]هو هنا يبتُّ في قضيّة التعدّد من واقع عدم القدرة المادية والمعنوية على العدل بالإضافة إلى كبر حجم المسؤولية كلما زادت الزوجات ، هذا فيما يخصّ المجتمعات المسلمة .

أما المجتمعات الغربية المتحرّرة فهي تتملّص من هذه المسؤولية بعدم الزواج أصلا واستبداله بما يسمى " المساكنة " « وهي عبارة عن رجل وامرأة يعيشان مع بعضهما البعض خارج إطار الزواج أي خارج الالتزامات والحدود فهي من قبيل الزنا وممكن أن ينتج عنها أولاد ، والرجل هنا هو مجرّد صديق أو رفيق»[2] .

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 79

[2] – نجلاء عطا الله أحمد بخيت ، المساكنة قبل الزواج ، دراسة فقهية مقارنة ، مجلة الدراية – مجلة نصف سنوية تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين يد سوق – ، مصر ، ع22 ، يونيو 2023 م ، ص 151 .

لقد عرض المؤلّف هذه القضيّة من خلال نبذة عن حياة أنجلا صديقة صوفيا التي كانت تعيش التجربة شخصيا وهي أنموذج لآلاف الغربيين الذين يفضلون المساكنة على الزواج وحجتها في ذلك في أن « إجراءات الطّلاق في ايطاليا معقّدة جدا ومرهقة ومكلفة للغاية وقد تتطلب ثلاث سنوات للحصول على الطّلاق النهائي في حين أن المساكنة إذا لم يتفقا فمن السّهل عليها الانفصال »[1]، أمّا بالنسبة لنا نحن العرب والمسلمين فالأمر مرفوض تماما ، دينيا واجتماعيا كما قالت " صوفيا " « المسألة معقّدة والمشكلة لا تكمن في الفهم وإنما في القبول ، فشتان بين الزوج والصديق ونحن لا نستطيع هذه التجربة وهي من رابع المستحيلات وهذا ما يسمى بالزنا والعياذ بالله »[2]

فالإسلام هنا له رأي واضح حيث أحل تعدّد الزوجات بشروط وضوابط من أجل اجتناب سبل أخرى محرمة كالزنا والمساكنة والتي ينتج عنها اختلاط الأنساب وضياعها وهذا ما يهدد كيان المجتمع وبنائه ، لذا وجب محاربة هذه الظواهر المحرّمة من خلال التّوعية بمدى خطورتها وإدراك آثارها على المجتمع .

7- قضيّة الهوس بعمليات التجميل :

لقد فطر الله النفوس على الإحساس بالجمال وحبه والميل إليه ، وحب الزينة والتجمّل والأنس بها ، وشرع الدين ما يتمم هذه الفطرة الجميلة ويرعاها ليزداد الإنسان جمالا إلى جماله[3]، لذلك أرشد المؤمنين عليها فقال تعالى ﴿ يَبَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف، الآية 29. ، وبمقتضى هذه الفطرة أُبِيح لهم طلب الزينة والجمال وتصحيح الانحراف القائل بأنّ الدين يدير ظهره عن

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 104.

[2]– المصدر نفسه ، ص ص 103-104.

[3] – عبد المجيد أنور التلمساني ، قيمة الجمال في الإسلام ، المجلس الأوروبي للأئمة، مقال صادر 04 ديسمبر 2021م، ص 79.

الجمال ، فبالعكس فالجمال ملمح أصيل من ملامح الدين ولا ينكره ، ولكننا اليوم لا نفرّق بين التجميل والتَزَيّين والعمليات الجراحية التجميلية .

« العمليات التجميلية هي مجموعة الأعمال التي يقوم بها طبيب مختص وتتعلّق بتحسين الشكل سواء كان يرافقه إصلاح خلل لوظيفة العضو أم لا ، وسواء كان التّحسين لتشوه خلقي ناتج عن حادث ما ، أو من أجل استعادة الشباب فقط ، بحيث تكون هذه العمليات مؤثّرة في القيمة الشخصية والاجتماعية للفرد »[1] .

لقد طرح عمارة لخوص هذه القضّية المعاصرة التي أصبحت ظاهرة منتشرة خاصة عند النّساء ، على شكل حوار بين " أنجلا " و " أنيتا " صديقتي " صوفيا " وهذا من أجل طرح الجدل القائم حول هذه القضيّة بين القبول والرفض وحجّة كل طرف في ذلك .

حيث ترى فئة من الناس وتمثلهم " أنجلا " و " أنيتا " أنه لا ضرر من هذه العمليات وأنه شأنها شأن أي عمليات جراحية أخرى ، والمرأة حرة في جسدها ما دامت تطمح لشكل أجمل وأكثر إغراء وإثارة « نحن في 2005 وعلى المرأة أن تعيش جسدها كما تشاء حرة طليقة ،فالكثير من النّساء وحتى المراهقات يتهافتن على هذه الموضة حتى يصرن مغريات ومثيرات » [2] ، أما الرأي المخالف فتمثله " صوفيا " فهي ترى أنّها مادامت محجّبة فإنّ الحجاب سيخفي كل أجزاء جسمها ، بالإضافة إلى الخطر المُحدِق في حال فشل هذه العمليات والتشوهات الأبدية التي سترافق هذه المرأة وما ينجرُّ عنها من أثار سلبية على حياتها الجسمية والنفسية .

كما أضافت " صوفيا " أن دينها ينظر إلى هذه العمليات أنّها حرام ما لم يكن لها مبرر وكانت اعتباطية ولا يحق للفرد اللجوء إليها إلا في حال التعرّض لحادث ما أو وجود

---

[1]– علي يوسف المحمدي وعلي محي الدين القرهواغي ، القضايا الطبية المعاصرة – دراسة فقهية طبية مقارنة ، شركة واد البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 2006 ، ص 530.

[2]– عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 120.

تشوهات خُلقية فتقول : « إذا تعرّض شخص ما لحادث وتهشم أنفه وتعذّر عليه التنّفس فيحق له اللجوء إلى جراح تجميلي ، فالجمال لا علاقة له بالموضوع والقضيّة صحيّة بحتة»[1]

ونحن كجانب محايد نرى أنّ هذه القضيّة لها علاقة بسيوكولوجية الفرد ومدى رضاه عن شكله وحبه لذاته ولا علاقة لها بتشكل الأذواق العامة وما تفضّله الجماهير ، هذا المعتقد الذي حول الجسد إلى سلعة استهلاكية تقولب وعيهم نحو حاجات مزيفة ، فاللجوء إلى التجميل لا يكون إلا لضرورة ومبرّر واضح وحاجة ملحّة .

8 – قضيّة الحجاب :

تختلف النظرة للحجاب من بيئة إلى أخرى حسب انفتاح ذلك المجتمع ومدى قربه للدين حيث يعد الحجاب من أحد التدابير الوقائية التي شرعت من أجل منع وقوع الفتنة بين الرجال والنّساء بسبب الشّهوة ، ومنه فالحجاب يشمل جملة من الأحكام الشّرعية الاجتماعية المتعلقة بوضع المرأة في المجتمع الإسلامي من حيث علاقتها بمن لا يحلّ لها أن تظهر زينتها أمامهم »[2]، مع ضرورة وضع شروط مقيّدة للحجاب ، « بحيث يكون ساترا فضفاضا ، لا يشبه لباس الرجال وغير معطّر ولا يكون لباس شهرة وغيرها من الضوابط والأحكام التي تحفظ للمرأة قدرها وتضمن لها احتراما[3].

تمّ العرض لقضيّة الحجاب ببعدها الاجتماعي في عدّة مواضع، نجدها على لسان الباش مهندس مخاطباً صوفيا:« لازم تلبسي الحجاب يا روحي"، وكان هذا قبل الزواج

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 121.

[2] – محمد إسماعيل محمد المقدم ، عودة الحجاب ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،الرياض، السعودية، الطبعة السعودية، 2006م. ص73.

[3] – ينظر، ناصر الدين الألباني ، جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،ط3 ، 1412هـ، عمان ، ص37 .

جاعلا إياه شرطاً بعد حوار طويل بينهما ظنّا منها أنه يمزح معها:" إنت بتهزّر مش كده ؟ كنت أريد أن أصدّقك، والله يا شيخ مصري بالقوي تعرف تمثل كويس قوي قوي ها هاه ها " وجاء الردّ: لا أنا مش بهزّر خالص دا شرط، اللي أوله شرط أخره نور يا روحي»[1].

أمّا الرأي المعارض لصاحبة السبق في موضوع الحجاب لأنّها هي المعنية الأولى فكان من جانب صوفيا، التي أرادت إقناع الباش مهندس أنّ الحجاب ليس فريضةً بقدر ما هو قطعة قماش ليس إلّا، وربّما يعود هذا إلى طبيعة التنشئة والتّربية ونوعيّة البيئة التي خرجت منها، وهي الأبعد عن البيئة الإسلامية بمعناها الحاضن المحافظ على التقاليد والخصائص الاجتماعية للمجتمع المسلم. حيث تتحدّث عن نفسها قائلة : « " كنت وكأنّي محامية شغوفة منهمكة في الدّفاع عن طفل بريء متهم بجريمة قتل..، وفي موضع آخر : " أعتبر نفسي مسلمة صالحة حتى دون حجاب »[2] ونرى في هذا الردّ محاولة فصل شعائر الإسلام عن نمط المعيشة الغالب والذي تأثّرت به صوفيا فهو النّمط الغربي الداعي الى التحرر وممارسة الحياة وفق أساليب عصرية في منظورها تستطيع العيش بتعاليم الإسلام العامة وممارسة الفرائض ربما كالصلاة والصّيام دون الالتزام بالحجاب الشّرعي الذي وصفته كما أسلفنا بقطعة قماش.

وارتدت صوفيا الحجاب ولكن دون قناعة منها ، وربما إرضاءٌ لشريكها، فهي رأت: أنّ النّاس لا ينظرون إليها، وإنّما إلى حجابها كدخيلٍ وكأنّه شبحٌ مرعب أو ضيف غير مرغوب فيه ، وأردفت تقول: « فشككت في ملبسي " هو فيه إيه بيبصولي كده ليه؟ هو أنا ماشيه بلا هدوم ، وإلا إيه، كنت أرى في عيونهم ضجراً وضيقاً وخوفاً.." »[3] وهو ما ذهبنا إليه من تأثير البيئة الحاضنة والتي هي غربية بامتياز .

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 43

[2] – المصدر نفسه ، ص 44

[3] – المصدر نفسه ، ص 80

وتحسّن الوضع بعض الشيء فيما بعد، غير أنّ صوفيا تعود في بعض الأحيان إلى فكرها القديم، الذي يتجلّى في عدم فقدانها الأمل في إقناع شريكها بعدم جدوى لبس الحجاب وروت له قصّة امرأة مصرية تُقيمُ في ماركوني [1] رفض ابنها الذهاب إلى المدرسة حتّى يتجنَّبَ سُخريّة أقرانهِ الذين يُسمعونه ألفاظاً من قبيل:« "والدتُك تشبه نساء طالبان؟؟ أو" يا ابن الطالبانية"؟؟ أو والدتك أخت بن لادن"؟؟»[2]

وهذا الأسلوب قد يرجع إلى صعوبة القبول بالوضع الجديد، وعدم القدرة على تغيير الأوضاع القديمة التي درجت عليها صوفيا التي ألفت التحرّر والذوبان في محيطها الاجتماعي المليء بالتّناقضات الغربية البعيدة كل البعد عن هويتها الأصلية ذات المنشأ الإسلامي الأصيل، فكيف لها أن تقبل بهذا اللباس الذي هو في أعين الغربيين مثارا للشكوك ويرونه من علامات الانغلاق وتكبيل المرأة التي يرديها الغرب أداة ووسيلة للهو والمجون ولابد لها أن تختلط بمجتمع رجولي أقرب إلى الحيوانية، إذاً الأمر صعب في خضم هذه التحوّلات.

وها هي صوفيا تحاول إقناعه مجدّدا حين قال": كلّ زوجات أصحابي لابسين الحجاب؟؟؟ هيقول عليَّ إيه المصريين المسلمين بتوع ماركوني؟؟"[3]

« وقد ترى أنّ الحجاب لا يتمثّل في قطعة لباس وقماش بتلك المواصفات، فتحقيق هدف إخفاء الجسم قد يكون باستعمال بعض الحيل لتغييب بعض أجزاء الجسم...»[4]

كما حزّ في نفسها نظرات الآخرين من غير المسلمين وربما الحاقدين على الإسلام

[1] – ساسو ماركوني (بالإيطالية: Sasso Marconi) هي بلدية في مقاطعة بولونيا في إقليم إميليا رومانيا الإيطالي.

[2] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة، ص82

[3] – المصدر نفسه ، ص 82.

[4] – المصدر نفسه ، ص 120.

مثل الجدّ "جوفارني" الذي نعتَ صوفيا بالرّاهبة[1]، وهو ما جاء في معرض حديثها: يناديني دائماً : يا راهِبة، تردّ صوفيا قُلت له مراراً: « أنا لست راهبةً، لأنّني مسلمة، ولا رهبانية ففي الإسلام، فيردّ الجدّ : لكنّ أنت تُشبهين الرّاهبات في اللّباس..."؟؟؟ » [2]

ورغم هذه النظرات المبنية على خلفيات دينية وتاريخية مقيتة تحمل الكره والحقد على الإسلام والمسلمين، إلا أنّ نداء الفطرة السّليمة كان يبدو في أحايين متباعدة من خلال أقوال داعمة ومساندة لصوفيا في رحلة التجاذبات حول هذا اللّباس الغريب والمنعوت بأغرب النّعوت في مجتمع مليء بالتيارات المبغضة لكل ما ينتمي إلى الإسلام، فهاهي صديقتها "أنجلا" التي قالت دون خجل: « عزيزتي صوفيا: أنت ترتدين الحجاب ولا تحتاجين إلى إبراز صدر مكتنز، فكّريِ في النساء المغبونات المحرومات منّ" ديكولتيه" ولا يستطعن إل ذلك سبيلا، بسبب صدوروهنّ المسطّحة المبطّحة.." »[3]

تقول صوفيا: « بهذا الكلام أصبحن يفكّرن في ارتداء الحجاب، تردن ارتداء الحجاب مثلي ؟ لا مانعَ . مرحبا بكما في نادي المحجبات " »[4].

والجدير ذكره أنّ" صوفيا تعرّضت لضغوطات كثيرة وكبيرة بسبب تغير وضعها بعد ارتداء الحجاب، لأنّ الأمر تعدّى مسألة أنّ الحجاب هو مجرّد لباس وقماش يستر الجسم ومفاتنه، بل هو مسألة الكرامة المنبثقة من هوية أصيلة دافع منطلقها الدين الإسلامي السمح في شرائعه وقوانينه الضابطة لتحرّكات المرأة وأدوارها الثقيلة في المجتمع المسلم،

---

[1] – الجمع: رُهْبَانٌ ، رَاهِباتٌ ، رَوَاهِبُ

رَاهِبُ الكَنِيسَةِ : الْمُتَعَبِّدُ وَالْمُعْتَزِل الزَّاهِدُ قال تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً " 82 المائدة.

و اِمْرَأَةٌ رَاهِبَةٌ : مُعْتَزِلَةٌ فِي دَيْرٍ أوِ الْمُنْصَرِفَةُ إِلَى أَعْمَالِ البِرِّ وَالإِحْسَانِ فِي مُسْتَشْفَيَاتِ الأَطْفَالِ وَالعَجَزَةِ والْمَلاَجِئِ وَمُخَيَّمَاتِ اللاجِئِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ، ينظر: معجم المعاني الجامع . تاريخ الاطلاع، 14أفريل 2024م، الساعة، 14:52

[2] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة، ص 107.

[3] – المصدر نفسه ، ص 122

[4] – المصدر نفسه ، ص 123.

فتقول صوفيا من هذه الزاوية":« إذا لم يقبلوا بحجابي فهذا يعني أنّهم يرفضون ديني وثقافتي[1]، وبلدي الأصلي ولغتي وعائلتي ووجودي في هذه الحياة وهذا لا أقبله أبداً" »[2].

تعدّ مسألة ارتداء الحجاب في أوربا من أخطر القضايا التي تواجه الجاليات المسلمة المهاجرة وخاصة في إيطاليا، لأنّ المرأة المسلمة تتأثّر بالواقع المُعيش في الغربة، فهي إما أن تنخرط في الحياة على النمط الأوربي، أو ترتدي الحجاب مع تحمّل عواقب ذلك لأنها ستواجه جملة من التحدّيات والصعوبات مثل: –النظرة السلبية تُجاه الحجاب واقترانه في العقلية الغربية في كثير من الأحيان بالجهل والتخلف والإكراه .

– نظرة الازدراء والعدوان اللفظي وأحيانا البدني التي تتعرض له المرأة الحجبة في الشارع ووسائل المواصلات وأماكن العمل .

– الضغوط التي تتعرّض لها المرأة المسلمة بسبب الحجاب في الدراسة والعمل، فكم من العنت تلقاه أثناء البحث عن وظيفة، وفي أغلب الأحيان يصعب الحصول على عمل يتناسب مع ما حصلت عليه من شهادات وكفاءات بسبب غطاء الرأس، كما تتعرّض في بعض الحالات للفصل من عملها أو المضايقات المتنوعة.

9 – قضيّة الطّلاق :

وهي من أكثر القضايا المتفشية في المجتمعات العربية والغربية في الآونة الأخيرة وذلك لأسباب مختلفة ، فماذا نقصد بالطّلاق ؟

[1]– أي أنّ المسألة مسألة وجود وتحقيق الذات الإسلامية في خضم التيارات المعاكسة.

[2] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 125.

<<الطّلاق: طلوقا وطلاقا: تحرّر من قيده ونحوه طلاق المرأة من زوجها أي تحلّلت من قيد الزواج وخرجت من عصمته، والتطليق في الشّرع، رفع قيد النكاح المنعقد بين الزوجين بألفاظ مخصوصة >> [1]

والطّلاق ثابت في الكتاب والسنة واجماع علماء الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ لا جُناحَ عليكم إنْ طلّقتم النّساءْ ﴾ البقرة 236.

وتنحصر أغلب مسبّباته في : « – سوء الاختيار – تدخّل أهل الزوجة الدائم في حياة ابنتهم الخاصة – تدخّل أهل الزوج وخاصة أمّ الزوج – تعاطي الكحول والمخدّرات»[2].

وفي الرّواية محلّ الدراسة تناول الراوي قضيّة الطّلاق، التي تعدّ قضيّة اجتماعية شائكة ومنتشرة في أغلب المجتمعات العربية والإسلامية، فقد ورد على لسان صوفياً: «" ينبغي الاستعداد لمواجهة تحدّياتٍ أخرى أهمّها على الإطلاق هو تجنّب الطّلاق"...إنّ المطلّقة تحمل على عاتقها عبءَ الفشل مدى حياتها، إنّها لا تُعدمُ كبقيّة المحكوم عليهم بالإعدام مرة واحدة وكفى وإنّما مرّات عديدة، فكلّ نظرة شفقة هي اتّهام وكلّ حكم هو إدانة.

إنّ الموت الاجتماعي أقسى من الموت الجسدي، فالمجتمع لا يرحم المطلّقة لأنّها امرأة لم يمتْ زوجها ولم تدم لها بكارة، لو كانت أرملةً لهان الأمرُ، فالذنب ليس ذنبُها، هذا قضاءٌ وقدرٌ، لكن: لمّا يقع الطّلاق تختفي القسمة ويختفي النّصيب كلّيا، وتصير المطلّقة كبشَ فداءْ والمُذنبة الوحيدة التي تستحقّ العِقاب، وتقول في موضعٍ آخر: « أمّا سوق المطلّقات فهو الأسوأ على الإطلاق بسبب انتشار المفترسين والمستغلّين والمتطفّلين فالأولى للمرأة أن تكون عانساً لا مُطلّقة، أنا متأكّدة من هذه المسألة....» [3]

[1] ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص563.

[2] – ينظر: مجلة كلية التربية ، ص 509.

[3] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة، ص 65.

ترى صوفيا أنّ العقم يعتبر سببا للطّلاق أيضا بقولها:« أن العقم يؤدي أحيانا إلى الطّلاق في المجتمعات الإسلامية والعربية إذا فشِلَ الزّوجان في الإنجابِ، فالذّنبُ كلّ الذنْبِ يقعُ على عاتق الزّوجة المسكينة كأنّ العجز الجنسي والعُقم الذّكري ليس لهما وجود...»[1].

كذلك إنجابُ البنات(الإناث) يشكّل خطراً على المرأةِ فهو يهدّدها بالطّلاق، حيث تقول صوفيا:« في زمن جدّتي كانت المرأةُ الّتي تُنجب الإناث فقطْ يعتبرها النّاس نصفَ عاقر، وكان خطرُ الطّلاق يتربّص بها من كلّ الجهات..»[2].

« والطّلاق في بلاد صوفيا سريعٌ كالبرق يكفي أن يتلفظ الزوج بكلمتين اثنتين "أنت طالق" وإذا بالمسكينة تتحوّل من زوجةٍ إلى امرأة مطلّقة ،أعترف أنّه من الصّعب جدا شرح مسائل الطلاق الأول والثاني والثالث، وبالأخصّ أمر المحلّل لغير المسلمين، إذْ تبدو الزّوجة المطلّقة مغلوبةً على أمرها كأنّها دابةً أو سلعة أو أَمَة تنتقل من مالك إلى آخر.

وضربت مثال قصّة السيّدة المصرية الغنيّة التي أرادت أنْ تعود إلى عصمة زوجها السّابق بعد الطّلاق الثالث، فعرضت على خادمها مبلغاً محترماً مقابل القيام بدور المحلّل، فتزوّجها ولكنّه رفض تطليقها فيما بعد، فلجأت إلى المحاكم للفصل في القضّية، تقول صوفيا : فقد طلّقني زوجي مرّتين ثمّ تصالحنا، ففي الأولى تخاصمنا بعد أنْ ألححت عليه أنْ أعمل، وفي الثانية تشاجرنا إثر رفض الإنجاب مرّة أُخرى" لم أكن ضدّ الإنجابِ ولكنّي طلبتُ مُهلةً للتّفكير قبل الإقدامِ على هذهِ الخطوة..."، بعد الطّلاق الأول والثاني طلب منّي أن أسامحه باكياً، اعترف بأخطائه وأنا قبلت اعتذارهُ...

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 80.

[2] – المصدر نفسه ، ص 80..

وذُكرت أيضا :" لم يكن مُمكناً رفضُ وساطة الإمام زكي" . والحقيقة أني وضعتُ مصلحة ابنتي في المقام الأول بعد الطّلاق الثاني، فغضب الإمام زكي من زوجي كثيراً وقال له بالحرف الواحد:" هو انت فاكر أنّ الطلاق لعبة!.." ثمّ توقّف مطوّلاً عند الحديث القائل:" أبغضُ الحلال إلى الله الطّلاق"

وفي نهاية المطاف حذّرنا من مغبّةِ الاستمرار في لعبة الطّلاق والمصالحة : خذو بالكو يا جماعة، إنتو بتلعبوا بالنّار، الطّلاق الثالث بقى هيكون نهائي، ما فيش رجعة ثاني.. » .

ويجدر الذّكر أن عصمة الطلّاق ليست دائما بيد الرجل، قد تكون بيد المرأة أيضا في بعض الحالات النّادرة عندما تكون في مركز قوة »[1].

وقد وقع شجارٌ بين صوفيا والباشمهندس"فيليشي" فطَلبت منه الطّلاق، انتهى بكلمات : « إنتي طالق!إنتي طالق!إنتي طالق!، دوّت هذه الجملة في أذني كالرّعد، وبدأت الدّموع تتدفّقُ على خدّي كشلّالٍ ساخن، الطّلاق الثالث نهائي، قلت في نفسي:" أنا حرّة طليقةٌ" يحيا الطذلاق الثالث، ألححت في إقناع نفسي بأنّ هذا الطّلاق نعمة لا نقمة »[2].

يتعلّق اسم المطلّقة بالمغبونة تقول: «أنا متيقّنةٌ بأنّ أمّي ستدركُ عاجلاً أنّ زمن المطلّقات المغبونات قد ولّى، ثمّ إنّني أعيش في روما وليس في القاهرة، أنا في منأى عن الضغوط الاجتماعية المسلّطة على المطلّقات والعوانسْ"...تضيف صوفيا : « ما أَقْبَحَ أنْ تؤدّي المرأة دورَ المطلّقة بالثلاثْ، وما أقساهْ!... »[3].

---

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص ص 104 – 105 .

[2] – المصدر نفسه ، ص ص 206 – 207 .

[3] – المصدر نفسه، ص 209.

تُقابلُ صوفيا بكلام أنجلا تحثّها على استعادة حريّتها كاملةً بلا نقصان ، « لقد حان الأوان يا صوفيا كيْ تتحرّري .... »[1]

يريد فيليشي إرجاع زوجته بعد الطلقة الثالثة فطلب من عيسى أن يكون هو المحلّل : يتزوّج زوجته صوفيا ثمّ يطلّقها"، لتَحِلَّ لزوجها فيليشي يقول : « أنت الوحيد يا عيسى يقدر يخرّجني من الزّفت اللي أنا في دا..." "... أنا؟ كيفاش؟ ..." " تتزوّج مراتي " "...واش ؟ ! نتزوّج مرتك ؟ ! .." " ..انت ابن حلال يا عيسى وأنا باثق فيك.." » [2]

ينظر الإيطاليون إلى مسألة الطّلاق بأنّها قضية بسيطة، لأنّ الانفصال بين الزوجين منتشر وإجراءاته سهلة ويسيرة مقارنة بمجتمعات أخرى.

على عكس نظرة المجتمع المسلم والعربي لهذه القضّية التي يراها شائكة ومؤثّرة، ويعمل جاهدا على الحيلولة دون وقوعه، ويُحمّل الزوجة والزوج مسؤولية التبعات التي تنجرُّ عن فكّ هذه الرّابطة الغليظة، مثل تشرّد الأبناء والبنات وزيادة الأعباء الاجتماعية على الزوجين المنفصلين، وإذا حدث الطّلاق لدى المهاجرين المسلمين العرب في أوربا فحتما سيخضعون لقوانين البلد الذي يقيمون فيه ويستفيدون من التسهيلات القانونية في مسألة الطّلاق، وهو ما يؤثر على علاقات الأزواج المسلمين الذين يريدون فك الرّابطة الزوجية وهم في بلاد الغربة.

11 – قضية البيروقراطية والفساد الإداري :

« البيروقراطية هي كلمة مركّبة تعني في الأصل " سلطة المكتب " وهي جهاز متخصّص في الإدارة يهدف إلى تنفيذ السياسات العامة لكل دولة ، والتي ترتبط

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 211

[2] – المصدر نفسه ، ص 214

باللوائح والقوانين التي تحدد إجراءات العمل التي أصبحت مصدرا رئيسا للنفوذ والتّأثير السّياسي في كل مجتمع إنساني ، كما تعرّف البيروقراطية على أنها وصف لنظام الحكم الذي يغلب عليه طابع الرّغبة الشّديدة في الالتجاء للطرق الرسمية في الإدارة والاعتماد على المرونة من أجل الالتزام بتنفيذ التعليمات التي يعطلها البطء في اتخاذ القرارات والعزوف عن الالتجاء غلى التجارب ، كما يتحوّل أعضاؤها إلى طائفة تحتكر العمل الحكومي من أجل مصلحتها الخاصة ويتحوّل عملها في حد ذاته إلى غاية »[1] فهي نوع من الفساد الإداري .

يمكن أن تكون البيروقراطية والفساد الإداري حسب ما ورد في الرّواية من أهم العوامل التي تدفع بالمواطن إلى الهجرة ومغادرة الوطن ، حيث تسهم هذه الأخيرة في تعطيل مصالح المواطن مثل الاستثمار والعمل والتوظيف والإجراءات الإدارية المختلفة .... وبالتالي تعطيل المصلحة العامة والعجلة الإقتصادية للوطن ، حيث يواجه المواطنون أبشع أنواع الفساد الإداري من محسوبية ومحاباة وطوابير وتسويق ووثائق وإجراءات روتينية غير سلسة ومملّة ومعقّدة تجعل المواطن ينفر من الوطن ويفضّل الهروب منه إلى غيره من البلدان التي تكون فيها هذه المشاكل أخف حدّة نوعا ما .

والرّواية لم تخل من هذه القضّية حيث عرض " لخوص " في روايته مثالا على البيروقراطية عندما عرض لقصة " محمد المغربي " والتسويف في حصوله على بطاقة إقامة فيقول « صابتني قرحة من القنوط. دابا عام ونصف وأنا كنسنى يعطوني الأوراق» ، « تعديل قانون الهجرة أربك عمل دوائر الشرطة وأدخلها في دوامة من

[1] – عمار بودوش ، دور البيروقراطية في المجتمعات المعاصرة ، المنظمة العربية للعلوم الإدارية ، د ط ، د ت ، ص 13.

الفوضى » « رغم أن القانون يُلزم وزارة الداخلية بتحديد الإقامة في مدة لا تتجاوز ثلاثة أسابيع» .[1]

إضافة إلى المحاباة والمعريفة والمحسوبية عندما تدخل " عيسى التونسي " للتوسط له عند النقيب " جودا " كي يقضي له حاجته بسرعة « هل تستطيع أن تساعد محمد للحصول على وثيقة الإقامة " ، " من يكون محمد هذا " ، " محمد المغربي الذي يسكن معي في البيت " »[2] .

كان هذا فقط كنموذج على أساليب البيروقراطية التي تُعَطِّلُ المواطن على قضاء حاجاته وتقف له بالمرصاد كعامل مُثَبِّط وعنصر مُؤثر في تراجع التنمية والتقدُّم العام، والأكيد أنَّ لمواطن العربي يعاني من تبعات هذه القضّية بشكل أكبر وبصورة أعمق من غيره وهي ضريبة من ضرائب التخلّف وسببا من أسبابه.

12 – قضية الخيانة :

يختلف مفهوم الخيانة حسب نوع العلاقة الرّابطة بين الطرفين فيعرّفها الجاحظ على أنها « الاستبداد فيما يؤتمن الإنسان عليه من أموال وأعراض ..... وتملك ما يستودع ومجاحدة مودعه »[3]

[1] – عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 86 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 91 .

[3] – عبد القادر محمد المعتصم وهمان ، الخيانة صورها وأحكامها وآثارها في ضوء الكتاب والسنة ، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع – المنصورة – مصر ، ط1 1441 هـ – 2020 م ، ص 14 .

والخيانة هي عدم الإلتزام بالأحكام الشرعية سواء كانت في نقض العهود والمواثيق أو في الاطلاع على ما يحرم النظر إليه ، فالمراد بها أن يضمر خلاف الظاهر[1] .

إذن فالخيانة هي أعم من التفريط فيما قد أؤتمن عليه الإنسان من ودائع لأنها تشمل من ضيع شيئا من أمر الله أو اقترف نهيا أو تعدى حدود .

ونجد للخيانة صورا ومظاهر مختلفة تنعكس آثارها سلبا على المجتمع

تعرض " لخوص " في روايته " القاهرة الصغيرة " إلى موضوع الخيانة من منظور أنها اختراق للحدود بين الطرفين، حيث أدرجها من زاويتين مختلفتين تماما ، فناقشها في المرة الأولى من زاوية الخيانة الزوجية وعدم احترام الحدود المتعارف عليها بين الزوجين والتي يحددها الشرع والعرف والعادات والتقاليد والثقافة السائدة لذلك المجتمع .

إذ يجنح فيها الخائن إلى البحث عن الحرية وكسر قيود الحدود التي تكبّل رغباته وشهواته.

ونجد أن المؤلّف قد ضمن في روايته قصة رومانسية عابرة تطلق العنان للإحساس والشّعور بكل حريّة ، متجاوزة بذلك الحواجز الاجتماعية والدينية لتلك البيئة ، وهذا عندما تكلّم عن قصة الحب والإعجاب المتبادل بين " صوفيا " الشابة المصرية و " عيسى التونسي " كما يسميه الناس في حي ماركوني « جلست مع صديقتي سميرة لنثرثر ، وانتهزت الفرصة لأفرغ ما بجعبتي .... نظرت إلي قائلة " قلبك دليلك يعني أنت وليتي عاشقة، ما تضحكيش علي يا سميرة ما تعمليش زي العرافة اللي بتقرأ الكف

[1]– د فريد مصطفى السلمان، الخيانة أسبابها وأنواعها وآثارها كما بينها القرآن الكريم، دار الطريق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الرياض – السعودية، 1998 م – 1419 هـ، ص 10.

أنا بنت متزوجة وعندي بنت، انت متزوجة وعندك طفلة وتحبي واحد ماهوش راجلك يا بنت الناس المشكلة وين ؟ ترى سميرة علامات العشق بادية علي ... » [1]

صحيح أن هذه الحالة العاطفية التي جمعت بين هذين الطرفين قد أضافت على الرّواية لمسة جمالية جذابة ، وجعلت القارئ يتابع مسار هذه القصة ويتلهف لنهايتها ويعيش معها لذة المحبة وتجربة العشق ، إلا أنّها في الأصل هي نوع من أنواع الخيانة كما يصنفها الدين والمجتمع حسب حدوده المعروفة ، إذ لا يجوز – حسب هذه القيم – للمرأة المتزوجة أن تفكر أو تعشق أو تنظر إلى غير زوجها « مارشالو العربي يحبني يظهر ذلك في عينيه وأحسست به أكثر عندما وضع يده على يدي ولكني أراه متردّدا » « أتمنى أن لا ينفضح أمرنا ، خلال الغداء تبادلنا كلمات قليلة وتظاهر كلانا بأنه لا يعرف الآخر ، أقاوم نفسي حتى لا أنظر إليه » [2]

لقد تجاوزت " صوفيا " هذه القيم وخانت زوجها " فيليشي " حتى وإن لم تتطور العلاقة لمجرد حالة عاطفية ونظرات متبادلة وجلسات هادئة، إلا أن قلبها واحساسها ليس ملكا لزوجها، وعلاقتها معه لا تلبي رغباتها العاطفية لذلك وجدت نفسها على استعداد لخيانة هذه العلاقة، كما أنها كانت عرضة لأي ريح عابرة تهب في سمائها « لا أنكر أن مارشالو العربي يعجبني ولكنني امرأة متزوجة وأم لطفلة ، أعرف أني لست سعيدة في حياتي الزوجية ولكنني لا أريد أن أكون مراهقة ... » [3]

هذا وقد فسّر الدين الإسلامي والعرف العربي وحتى الغربي الإخلاص على أنّه احترام الحدود بين الشخصين المرتبطين وذلك بحفظه لماله وشرفه وعرضه ، وأن كسر هذه الحدود هي خيانة وقضيّة شرف .

---

[1] عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص 220.

[2]– المصدر نفسه ، ص 220

[3]– المصدر نفسه ، ص 139

لقد تناولت الرّواية مشهدا آخر من مشاهد الخيانة وهذا من خلال عرض خيانة " كريستيان " لخطيبته " مارتا " مع الفتاة اللبنانية السمراء ، حيث استسلم لشهواته وخان عهده مع خطيبته التي جعلت من الحب والارتباط الجامع بينهما ميثاقا كافيا للإخلاص والوفاء له ، جاء على لسان كريستيان « قدم لي جودا فتاة سمراء وقال لي : هذه الشابة العربية حلال لك ... جلسنا أنا وهي متلاصقين على الأريكة وشرعنا في الحديث ... شربت الكثير من الفودكا حتى صرت كالثور الهائج ... أذكر مشهدا قصيرا فقط : أنا والشابة اللبنانية عاريان متعانقان في غرفة نوم ثم ظلام دامس ...»[1]

كما نجد في الرّواية عرض أخر لقضيّة الخيانة ولكن من زاوية أخرى، إذ يعتبر " لخوص " أن تجاوز القوانين والأعراف هي خيانة كبرى للوطن لا تغتفر ويعاقب عنها القانون ومن هذه المَواطن نجد مثلا " إبراهيم السنيغالي " « أنني في نظر القانون لست عاملا وإنما مهربا أو بائعا لسلع مسروقة ، أنا في مقام المنحرف المجرم الذي يستحق أن يقبع في السجن »[2]

فالقانون بالنسبة لهم يقيّد حريتهم ويكبت طموحاتهم ومصالحهم، يقول كريستيان «بالنسبة لنا كإيطاليين وجود القانون لا يعني ضرورة تطبيقه. شتان بين النظرية والتطبيق. أضف إلى ذلك أننا شعب يكره القانون ويتحايل عليه بكل الأشكال والطرق، وأبرز مثال هو صاحبة البيت تيريزا التي تفضّل الإيجار بعيدا عن القانون حتى تتهرّب من الضرائب» [3] فكل هذه السّلوكيات هي خيانة وتجاوز للقانون وللوطن بشكل عام.

هذا وقد طرح الرّوائي عمارة لخوص قضيّة الخيانة لإضفاء نوع من التشويق والإثارة للقارئ، وفي نفس الوقت كي يجعله يدرك آثار الخيانة ويتحاشى عواقبها.

---

[1]– عمارة لخوص ، القاهرة الصغيرة ، ص ص 201 – 202

[2] – المصدر نفسه ، ص 161 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 68.

الخاتمة

وبعد هذا التطّواف في عالم القضايا الاجتماعيّة الذي اكتنزت به رواية القاهرة الصّغيرة لعمارة لخوص خلُص البحثُ إلى جملة من النتائج أهمّها:

– إنّ القضايا الاجتماعيّة الواردة في الرّواية موجودة في كلّ المجتمعات الإنسانيّة بلا استثناء غير أنها متباينة بتبَاين تلك البيئات وظروفها الخاصة.

– تشتركُ الجماعة في مسؤوليّة معالجة هذه القضايا والبحث عن حلول لها ولكن بدرجات مختلفة وهذا خدمةً للمجتمع وحمايةً له.

– تتداخلُ القضايا الاجتماعيّة وتتفاعل فيما بينها، إذْ نجد أحيانا قضيّة تحيلنا إلى قضية أخرى مثل الفقر يحيلنا إلى الهجرة ثم العنصرية فالإرهاب بما يؤكّد تواشج الظواهر الإنسانيّة.

– لقد حاول الرّوائي عمارة لخوص أنْ يقدّم صورة متكاملة على فكرِ وثقافة المواطن العربي في الوطن وخارجه لفترة زمنية معيّنة قصد تسليط الضوء على أهمّ القضايا التي تؤرّقه، وهذا من أجل تبليغ معاناتهم وتوضيح تفاصيل واقعهم لمن يفكرون في خوض تجربة " الهجرة " فيثنيهم ذلك عن القيام بهذه المغامرة.

– يعدّ الفقر أهم العوامل المحفّزة على الهجرة ومغادرة الوطن والبحث عن بديل له، حيث نجد نسب كبيرة من المواطنين في دول الجنوب يعيشون تحت خط الفقر ويصارعون من أجل البقاء.

– تستهوي الشّباب مغامرة الهجرة وهذا بسبب الصورة المغلوطة التي يرسمها الاعلام والمهاجرون عن دول الغرب من رفاهية وتحرّر، ولكن في الحقيقة يصطدمون بالواقع من عنصريّة وعداء ومطاردة الآخر لهم، فضلا عن المستوى المعيشي الذي لا يختلف كثيرا عن ذلك الذي كانوا يحاربونه في أوطانهم.

– تحدّد المعطيات السّياسيّة والاجتماعية في أوروبا حسب الرّواية صفة المهاجر المُسلم في تلك الفترة لذا وجب عليه تقبّل تداعيات هذا المُعتقد من عنصرية وتميّز ورميٍ بالإرهاب.

– تختلف تركيبة المجتمعات الغربيّة وطريقة تصنيفها للأفراد عن المجتمعات العربيّة وهذا حسب الخلفيّة الفكريّة والدينيّة والثقافيّة لتلك المجتمعات، حيث نجد الموروث الثقافي يصف المجتمع العربي كمجتمعٍ ذكوريّ في حين نجد المجتمعات الغربية تدعو للتحرّر والمساواة بين الرجل والمرأة.

– بفضل ارتفاع مستوى الوعي الفكري والثقافي لدى دول الغرب أصبحوا يتقاطعون في الكثير من القضايا مع الفكر الإسلامي العقلي المنطقي الذي يقدّس الأُسرة ويعظّم العلاقات الإنسانية في المجتمع وينبذُ الخيانة ويبغضُ الطّلاق.

– إنّ تعدّد الروافد الفكريّة والثقافيّة هو الّذي شكّل الخلفيّة التي انطلق منها عمارة لخوص في توصيفه للقضايا الاجتماعية موضوع الدّراسة،

– وظّف المؤلف في روايته تقنيات دراميّة جذّابة ولغةً سرديّة متحرّرة فكّت الارتباط بكلّ حالقيود قصد أنْ يندمج القارئ مع المشهد الدرامي ويتأثّر به .

– اجتهد عمارة لخوص أنْ يطرح القضايا الاجتماعية في روايته طرحًا منطقيّا يتبنّى من خلاله الحياد والموضوعيّة ما استطاع ، فاسحًا المجال بذلك للقارئ للمشاركة في الرأي قبل الحكم عليها حسب انتمائه وتوجّهه الفكري .

– لقد أدرك الرّوائي عمارة لخوص أهميّة الرّواية في توجيه الرأي العام والتّأثير فيه لذلك اتّخذها سلاحا يُقوّم به الإشكالات التي تؤرّق المجتمع وتهدّد أمنهُ واستقراره .

– لقد كانت روايته القاهرة الصّغيرة التُّرجمان الناطق على حال الفرد العربي وكيفية معالجته للقضايا المختلفة.

وآخر ما يمكن قوله أنَّ هذه الدراسة كانت بمثابة محاولة بسيطة منّا مسّت أهمّ القضايا في هذه الرّواية، ولعلها تفتح آفاقًا لدراسات أخرى حيث يمكن تخْصيص كلّ قضيّة موضوعًا للدراسة.

هذا فما كان من توفيق فمن الله وما كان من تقصير فمنّا ومن الشيطان

والحمد لله ربّ العالمين.

الملاحق

أولا: التعريف بالرواية

ثانيا: ملخص الرواية

ثالثا: نبذة مختصرة عن الكاتب عمارة لخوص

أولا – التّعريف بالرّواية:

روايةُ القاهرة الصّغيرة للمؤلّف " عمارة لخوص " هي رواية اجتماعية حديثة بِامتيازْ نَزَعَ المؤلّف من خلالها إلى التّجريب في الرّواية الجزائرية وفَتَحَ آفاقها الإبداعيّة عن العالم.

كتبها " لخوص " عام 2005 م في 232 صفحة، نُشرت طبعتها الأولى بروما وبيروت من خلال منشورات الاختلاف عام 2010 م.

كتب بالعربية ثم أعاد كتابتها بالإيطالية تحت تسمية " الطّلاق على الطريقة الإسلامية في حيْ ماركوني " حيث يرى لخوص أنّه لا يترجم ولكنه يعيد إنتاجها، وكأنّ رواياته أشبه بالتوائم.

تُرجمت " القاهرة الصغيرة " إلى اللغة الفرنسية والإنجليزية والإسبانية واليابانية والهولندية وهذا دليل على ثقافته ذات المرجعيات المختلفة التي لامست الجوانب الإنسانية العامة[1] .

وردت الرّواية على شكل لوحات متوسطة الطول، عالج المؤلف من خلالها الصراع الأزلي المحتدمْ بين الشرق والغرب ، وأثار العديد من القضايا الاجتماعية المعقدة التي يتشابك فيها الدين مع السياسة ، حيث وردت في لغة تصارع وتضاد تميزت ببساطة التعبير والمعاني الواضحة والابتعاد عن الرمزية والشاعرية .

أمّا عن العنوان فقد اختار لها " لخوص " عنوانا مشوّقا جذابا ومشَفرا يُموّه الحقيقة ويربك القارئ ويشدّه ويستفزه من أجل اقتحام حصون الرّواية وذلك للفوز بالدّلالة الحقيقية المضمرة بين صفحات الرّواية ، حيث قصد بالقاهرة الصغيرة محلّ الاتّصالات الهاتفيّة بحيْ ماركوني بروما الذي يقصده المهاجرون وخصوصًا المسلمين منهم للاتّصال بعائلاتهم كصورة لربط المهاجر بالوطن، وهذا المكان هو بؤرة الحدث ومسرحه في الرّواية ، وهي أيضا محلّ

[1] - نورة لحرش ، الكاتب والروائي عمارة لخوص في الحديث عن روايته ، جريدة النصر الإلكترونية ،ع 01 أكتوبر 2019 م، صفحة كراس الثقافة.

الاتهام بتطبيق عملية اِنتحارية تظهر في الآخر أنّها وهمية مفتعلة، ويجد القارئ نفسه مشاركا في لعبة سردية وهمية توحي بقدرة المؤلّف وتميّزه عن أبناء جيله ومغايرته للسّائد المألوف في السّاحة الأدبية الجزائرية[1].

إذْ يرى المؤلّف فيها نفسه ناجحا متميّزا خاصة في إيطاليا الذي لمع نجمه فيها وأكّد على أن الرّوائي الجزائري يجب عليه أن يلعب دور المؤرّخ والمحلّل والنفساني في نفس الوقت[2].

أمّا الدكتورة سامية بن دريس فصنفتها على أنّها مادة خصبة للقارئ والنّاقد في مجال الدراسات السردية أو النّقد الثقافي بمختلف تفرّعاته فهي زخمْ كبير من الملفوظات السّردية التي تتوارى خلفها قصديّة المؤلّف في تفكيك البنى الاجتماعية[3]، وهذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال دراسة بعض القضايا الاجتماعية الواردة في الرّواية وتحليلها ومحاولة الكشف عن موقف المؤلف وشرحه وتفسيره.

ثانيا: ملخّص الرّواية

تهدفُ رِواية القاهرة الصّغيرة إلى عرض جملة من القضايا الاجتماعية والفكرية، والتي تتمثّل في الصّراع بين الغرب والشرق ، حيث أنّ الغرب يعتبرون المسلمين إرهابيين ودُعاة للفِتنة، فكانت نظرتهم العدائيّة في تكريس كلّ الوسائل لتلبية رغباتهم ومطامعهم في تطبيق سياستهم دون احترام .الإنسانية ، وقد قام بهذا الدّور في الرّواية يندس كريستيان الإيطالي المسيحي، الذي انضمّ إلى المهاجرين العرب والمسلمين في حي ماركوني بروما، وذلك للكشف عن عملية إرهابية مرتقبة وصلت أخبارها إلى الاستخبارات الإيطالية، حيث وقع عليه الاختيار لكفاءته اللغوية وقدرته على التحدّث باللهجة التونسية، لأنه قضى طفولته في تونس ودرس فيها وأتقن العربية وتشرّب اللهجة المحلية قبل أن ينتقل إلى أهله في إيطاليا، فتقمّص

[1] - زهير بولفوس، سيميائية العنوان في رواية القاهرة الصغيرة لعمارة لخوص، مجلة الرّاوي، ع 30 ، ديسمبر 2015

[2] - نوارة لحرش، الكاتب والروائي عمارة لخوص في الحديث عن روايته، صفحة كراس الثقافة.

[3] - سامية بن دريس، الهوية الأنثوية والمسكوت عنه في رواية القاهرة الصغيرة لعمارة لخوص، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تمنراست – الجزائر، م11، ع 04 ، عام 2022 م ، ص 502.

شخصية عيسى التونسي، الذي يعمل غسّالا للصّحون، ويقطن في بيتٍ مشتركٍ مع جماعة من الأشخاص لا يملك فيه سوى فراش يأوي إليه ليلا .

كُتبت الرّواية في سنة 2005م، وقد وردت في 232 صفحة متوسطة القطع، قدّمها عمارة لخوص على لسان شخصيتين روائيتين بالتّناوب ، الأولى تتمثل في شخصية " عيسى " التونسي ، والثانية شخصية صفية " صوفيا " الفتاة المصرية المسلمة والمتحجبة التي تطمح أن تشتغل كوافيرة ، حيث أخذ الكاتب " صوفيا " رمزا للمجتمع الذي أخضعها على كل طموحاتها وأحلامها وسلبت منها بسبب عادات أسرتها ، فكانت صوفيا مثالا للمرأة العربية.

بدأت الرّواية بعيسيى وطريقة استعداده لأداء مهمته ، وذلك بترك لحيته وشاربه ينموان، وحلق رأسه وارتدائه ملابس رثّة ، ومن ثم يدخل إلى القاهرة الصّغيرة ، المكان المستهدف الذي يرتاده العرب وغير العرب لمتابعة أخبار الجزيرة والاتصال بأسرهم ، وهناك يلتقي عيسى بالتاجر حنفي ، صاحب المحل ، الرجل الذّكي الذي يعرف أخبار الجميع

ومن ثم راح عيسى يسرد لنا كيفية إتقانه للغة العربية وكيف قبل لعملية التجسّس التي حرضه للقيام بها النقيب " سندري " من قسم مكافحة الإرهاب ، والذي أطلق على نفسه اسم "جودا".

ثم تعود " صفية " في مجرى الرّواية ، الفتاة المصرية التي تحوّل اسمها في إيطاليا إلى "صوفيا " ، كانت تطمح أن تلقى مستقبل أفضل من مستقبل شقيقتيها المتزوجتين ، فكان حلمها وهاجسها الكبير أن تتحوّل إلى كوافيرة ، لكن الأهل يرفضون ذلك باستنكار وازدراء . كان هذا الحلم البسيط سببا دفع بها إلى الزواج بالمهندس " سعيد " الذي يعمل طاهيا للبيتزا في إيطاليا ويلقّب " بفيلشي".

ظنت " صوفيا " أن أبواب روما ستنفتح لها لتحقّق أمنيتها ، غير أن ظنها خاب حين فرض عليها " سعيد " ارتداء الحجاب ، فلم تستطع أن تخالف رأيه رغم اعتراضها ، وذلك خشية كلام الناس.

تصل " صوفيا " مع ابنتها إلى روما بعد سنة من الزواج، ولكثرة ما رأت من المصريين في الحي خُيّل لها أنها ما تزال تعيش في القاهرة.

تعود شخصية " عيسى " مجدّدا في الرّواية، حيث تمكن من التغلغل بين المهاجرين العرب في القاهرة الصّغيرة، وسكن في شقة في حي ماركوني رفقة 8 مصريين وبنغالي وسنغالي، وقد وصف لنا السّارد صعوبة الحياة في بيت المهاجرين المحرومين من أبسط متطلبات الحياة سعيا للحياة ، والعنصرية التي يتعرضون لها من طرف الإيطاليين

تعود بنا الرّواية مرة أخرى " لصوفيا " وهنا تصف لنا اشتياقها لأهلها والواقع المأساوي الذي يعيشه المهاجرين في الغربة، ثم تصف لنا معاناتها في إيطاليا بسبب حجابها، والعنصرية المتأصّلة في فكر أهلها، فتجد نفسها وكأنها شبح مرعب.

ومن ثم ينتقل الكاتب إلى إبراز وإيضاح بعض الآفات الاجتماعية التي تتعرّض لها المرأة العربية، من بينها تعدّد الزوجات ومسألة الطلاق وأثره ، والعنف والهيمنة الذّكورية ، وكذلك مسألة الختان لدى الإناث في مصر، وهي أكبر موضوع مأساوي تعاني منه المرأة والأكبر مصدر خوف لها.

ثم تعود الرّواية إلى " عيسى " التونسي الذي يستمر في محاولاته للكشف عن الإرهابيين الذين يستعدون لاستهداف السفارة الأمريكية في إيطاليا، بعدها ينتقل الحديث عن إنقاذ " عيسى " لـ " صوفيا " من اعتداء عنصري إيطالي يدعى الوحش.

نعود مجددا إلى " صوفيا " ، فتحدّثنا عن العنف المنزلي الذي تتعرّض له النّساء، وكيف أنها كانت تعيش مع زوجها جسدا من غير روح ، وكيف كانت تمارس مهنة تصفيف الشعر خفية عنه ، ليكتشف زوجها في أحد الأيام المال الذي جمعته من عملها ويوّجه لها اتهامات أخلاقية ، ثم يطلقها لثالث مرة بعد أن طلقها مرتين من قبل ، ولكي تَحلَّ له عليها الزواج بغيره ، فيطلب من " عيسى " الزواج بها لكي يتمكن من استرجاعها.

"عيسى " و " صوفيا " يتبادلان مشاعر الحب بينهما ، فينصدمان من طلب " سعيد"، وفي الوقت نفسه ينصدم " عيسى " عندما يخبره النقيب " جودا " أنّ " سعيد " و " صوفيا " هما رأسا الخلية الإرهابية.

في ختام الرّواية نتوصل إلى أن الشبكة الإرهابية والعملية السّرية كانت خداعا وسرابا، لينتهي كل هذا بأنه مجرد امتحان لـ "كريستيان " لاختبار كفاءته ولضمه في الاستخبارات الإيطالية لا أكثر ، فرغم المعاناة التي عاشها والعوائق والصّعوبات التي واجهها أثناء قيامه بهذه العملية ، إلا أنه قد نجح في مهمته ، وأصبح جاهزا لأيّ مهمة أخرى.

ثالثا: نبذة مختصرة عن الكاتب عمارة لخوص

ولد الكاتب الجزائري عمارة لخوص في الجزائر العاصمة سنة 1970 م ، ويعد أحد نماذج كتاّب بلدان المغرب العربي الذين نهلوا من الفتوح الثقافي الذي تتميز به هذه البلدان ، ومثله مثل الكثير منهم ، حيث عبر المتوسط للبحث عن رداء ثقافي جديد يرتديه ويبدأ حياة ثقافية جديدة حتى استقر في إيطاليا .

كان قد تخرّج من معهد الفلسفة بجامعة الجزائر1994 م ، هاجر إلى إيطاليا عام 1995 م وأقام فيها 18 عاما ، وهناك واصل دراسته الأكاديمية في العلوم الإنسانية في جامعة روما إلى غاية حصوله على الدكتوراه حول المهاجرين العرب المسلمين في إيطاليا ، ثم انتقل إلى نيويورك عام 2014 م ، وقد كان يكتب باللغتين العربية والإيطالية .

يُعدّ لخوص من بين الأصوات الرّوائية الشائعة في الأدب، والتي تبشّر بمستقبل واعد للرّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، وفضلا عن حضوره القوّي في الغرب فقد حاز على جائزة فلايانو الأدبية الدولية عام 2006 م، إضافةً إلى جائزة المكتبيين الجزائريين عام 2008 م.

نشر روايته الأولى بعنوان " البقّ والقُرصان " في طبعة مزدوجة اللّغة العربية والإيطالية بترجمة فرانشيكو ليجو في روما عام 1999 م ، ثم صدرت روايته الثانية " كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضّك " في الجزائر عام 2003 م (منشورات الاختلاف) ، والطبعة الثانية

في بيروت (بالاشتراك مع دار العربية للعلوم) ، أعاد المؤلّف كتابة هذه الرواية بالإيطالية وصدرت عام 2006 م بعنوان آخر هو " صدام الحضارات حول مصعد في ساحة فيتوريو" وقد نالت نجاحًا كبيرا في إيطاليا وخارجها وتُرجمت من الإيطالية إلى الفرنسية والإنجليزية والهولندية والألمانية والدانماركية والأمازيغية والفارسية، كما تمّ تحويلها إلى فيلم سينيمائي من إخراج إيزيطاتوزو عام 2010م عُرض في قاعات السينيما الإيطالية[1]

كتب روايتة الثالثة " القاهرة الصغيرة " بالعربية والإيطالية في وقت واحد عام 2010 م وتُرجمت لحدّ الآن من الإيطالية إلى الفرنسية والإنجليزية والألمانية واليابانية.

في عام 2012 م نشر روايتة " فتنة الخنزير الصغير في سان سالفاريو " ثم أصدر رواية أخرى عام 2014 م عنوانها " مُزحة العذراء الصغيرة " وكلاهما بالإيطالية، وقد ترجمتَا إلى الفرنسية والإنجليزية.

أصدر عام 2019م روايةً بالعربيّة عنوانها " طير اللّيل " عن منشورات المتوسّط في إيطاليا ومنشورات الحبر في الجزائر، وقد وصلت هذه الرّواية إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية 2021م.

" Yale"حاليا يشتغل في منصب أستاذ في قسم الدراسات الإيطالية في جامعة ياييل[2].

[1] – المصدر: رسالة من الكاتب، تم الإرسال عبر الإيمايل، amara.lakhous@gmail.com، 02 فيفري 2024.

[2] – المصدر نفسه.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع

المصادر:

1-إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، مصر، ط4، 1425هـ - 2004 م.

2-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، م 15، دار صادر بيروت، (د، ط)، 1408هـ.

3-أديب اللّجمي وآخرون، المحيط، ج2، ط2،(د، ن)، بيروت، 1994م.

4-رضا أحمد، معجم متن اللغة، ج4، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د،ط)، 1996م.

5-عبد العزيز عبد الله الدّخيل، مُعجمُ مصطلحات الخدمة الاجتماعية، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط2، 1434هـ - 2012م.

6-لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، (د، ط)، نوفمبر 2009.

7-محمد مرتضى الحسين الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (تح: عبد المجيد قطاش)، مراجعة على سفر وخالد عبد الكريم جمعة، سلسلة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د، ط)، 2001.

المراجع:

8-أنور محمد، الإسلام والمسيحية في مواجهة الإرهاب والتطرّف، دار أيهم للنشر، د ط، د، ت.

9-حسام الدين محمود فياض،" إيميل دور كاييم مؤسّس علم الاجتماع الحديث"، المنهج التفسيري في دراسة الظواهر الاجتماعية، دراسة في علم الاجتماع البنائي، مكتبة نَحو علم اجتماع تنويري (د، ط)، 2018م.

10- فريد مصطفى السلمان ، الخيانة أسبابها وأنواعها وآثارها كما بينها القرآن الكريم ، دار الطريق للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض - السعودية ، ط1، 1998 م- 1419 هـ.

11- ستيفن دي تانسي، علم السياسة، (تر: رشا جمال مراجعة جمال عبد الرحيم)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2012 .

12- سمير التنير، الفقر والفساد في العالم العربي ، دار الساقي ، ط1 ، بيروت لبنان، 2009م .

13-الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ط1، أوت 1999 .

14-عبد التواب هيكل ، تعدد الزوجات في الإسلام وحكمة التعدد في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، دار القلم ، بيروت ، د ط ، 1399 هـ .

15- عبد الرحمن شهندر، القضايا الاجتماعية الكُبرى في العالم العربي، مطبعة المقتطف، القاهرة، مصر (د، ط)، 1936م.

16- عبد القادر محمد المعتصم وهمان ، الخيانة صورها وأحكامها وآثارها في ضوء الكتاب والسنة ، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع – المنصورة – مصر ، ط1 1441 هـ – 2020 م .

17- عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، سلسلة عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ديسمبر 1998 م .

18- عبد الناصر توفيق العطار ، تعدّد الزوجات في الشريعة الإسلامية ، مكتبة المهتدين، مصر ، ط5 ، د ت .

19- عدنان الخطيب ، الوجيز في شرح المبادئ العامة في قانون العقوبات ، 93/1 ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق – سوريا، د ط، 1956م .

20- علي حرب ، الإرهاب وصناعته (المرشد والطاغية والمثقف)، ناشرون الدار العربية للعلوم ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2015 م .

21- علي يوسف المحمدي وعلي محي الدين القرهواغي، القضايا الطبية المعاصرة – دراسة فقهية طبية مقارنة، شركة واد البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2 ، 2006 .

22- عمار بودوش، دور البيروقراطية في المجتمعات المعاصرة، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، د ط، د ت.

23- عمارة لخوص، القاهرة الصغيرة، منشورات الحبر، الجزائر،(د،ط)، 2022 .

24- فرج فودة ، الإرهاب ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر الجديدة ، د ط، 1992 .

25- محمد إسماعيل محمد المقدم ، عودة الحجاب ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة السعودية، الرياض، 2006 .

26- معن خليل عمر، علم المشكلات الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2005م.

27- وليك أوستن وآرت، نظريّة الأدب، تر عادل سلامة، دار المريخ للنشر والطبع، الرياض، السعودية، 1412هـ-1992م.

28- حسني محمد العطّار، قضايا فكرية ودينية، مؤسسة نافذ للبحث والطباعة والنشر، ط1، 1442هـ-2020م.

29- إسماعيل حسن إسماعيل وشكري رجب عشماوي، قضايا اقتصادية معاصرة، الدار الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2014م.

30- السَّيِّد ياسين، التحليل الاجتماعي للأدب، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.

31- أنور عيد الحميد موسى، علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة والنّقد، دار النهضة العربية، مكتبة فلسطين للكتب المصوّرة.

32- بيير زيما، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع للنصّ الأدبي، تر عايدة لطفي، مراجعة أمينة رشيدة و سيد البحراوي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1991م.

33- سامح محمد جمال أحمد حافظ ، ظاهرة الهجرة غير الشرعية في مجتمعنا الغربي ، اقرأ للنشر والتوزيع الإلكتروني ، 3 ديسمبر 2023 .

34- ناصر الدين الألباني ، جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،عمان،ط3 . 1412 هـ .

35- نبيلة عباس الشويرجي، المشكلات النفسية للأطفال (أسبابها وعلاجها)، مطبعة العمرانية للأوفست، الجيزة،ط1، مصر، 2002م.
36- يوسف أبوشوشة، مشكلات معاصرة، دار العدوي، عمان، الأردن، ط1، 1982م.

المجلات:

37- البيان الصادر من مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة دورته السابعة عشر ، 13 -1424/10/17 هـ الموافق لـ : 13-17 /2003/12 م
38- زهير بولفوس ، سيميائية العنوان في رواية القاهرة الصغيرة لعمارة لخوص ، مجلة الراوي ، العدد 30 ، ديسمبر 2015 .
39- سامية بن دريس ، الهوية الأنثوية والمسكوت عنه في رواية القاهرة الصغيرة لعمارة لخوص ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ، جامعة تمنراست – الجزائر ، مجلد 11 ، العدد 04 ، عام 2022 م .
40- عبد المجيد أنور التلمساني، قيمة الجمال في الإسلام، المجلس الأوروبي للأئمة، مقال صادر في 04 ديسمبر 2021م.
41- علي زين الدين وسعيد القطان وهناء حراز ومريم شتوي، القضايا الاجتماعية في فنّ الفيديو، مجلّة بحوث كلية التربية النوعية، (نصف سنوية)، جامعة بور سعيد مصر،م 14، ع 14، جوان 2021م.
42- محمد خاقاني ومنصورة زركوب، النقد الاجتماعي للأدب، نشأته وتطوّره، مجلة اضاءات نقدية، فصلية، السنة 2، ع 6، 2012م.
43- نجلاء عطا الله أحمد بخيت ، المساكنة قبل الزواج ، دراسة فقهية مقارنة ، مجلة الدراية – مجلة نصف سنوية تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين يد سوق – ، مصر ، ع22 ، يونيو 2023 م .
44- زاهية بوجناح، المرأة بين الهيمنة الذكورية وضغط المجتمع " خطيئة مريم " ل " علاوة كوسة " أنموذجا، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، مجلة تمثيلات الثقافية والفكرية والثقافية، إبداع، تواصل، نقد، المجلد 5، ع 1، جانفي 2021.
45-مجلة كلية التربية، جامعة الزهر، ع 162، ج04، يناير 2015 م.

46- نورة لحرش ، الكاتب والروائي عمارة لخوص في الحديث عن روايته ، جريدة النصر الإلكترونية ، ع 01 ، أكتوبر 2019 م.

47- رسالة من الكاتب عمارة لخوص، عبر البريد الإلكتروني بتاريخ: 02 فيفري 2024.
amara.lakhous@gmail.com

فهرس المحتويات

1-فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	-
مقدمة	أ-د
المدخل	06
الفصل النظري القضايا الاجتماعيّة في الأدب الرّوائي	
أولا : التّعريف وضبطُ المصطلح	10
ثانيا : أنواع القضايا الاجتماعيّة	13
ثالثا : خصائص القضايا الاجتماعيّة	15
رابعا : الرّواية والمجتمع	17
الفصل التطبيقي تجلّيات القضايا الإجتماعيّة في رواية القاهرة الصغيرة لعمارة لخوص	
أولا- القضايا الاجتماعيّة التي عالجتها الرّواية	22
1-قضيّة الهجرة	22
2-قضية الإرهاب والتطرّف	28
3-قضيّة العنصريّة	32
4- قضيّة الهيمنة الذكوريّة	35
5- قضيّة الفقر	39
6- قضيّة المساكنة وتعدّد الزّوجات	42

7- قضيّة الهوس بعمليّات التجميل	44
8- قضيّة الحجاب	46
9- قضيّة الطّلاق	50
10- قضيّة البيروقراطيّة والفساد الإداري	54
11- قضيّة الخيانة	56
الخاتمة	62
الملاحق	66
قائمة المصادر والمراجع	73
فهرس المحتويات	79

الملخّص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة القضايا الاجتماعية العربية التي اكتنزت بها رواية القاهرة الصغيرة للرّوائي الجزائري المغترب عمارة لخوص داخل البيئة العربية وخارجها بغرض استجلاء الخلفيات المحركة لها والدلالات المستفادة منها.

وقد اقتضى غرض الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، ولم يمنع هذا من الانفتاح على غيره كالمنهج التاريخي، والاجتماعي، والنفسي بما يستلزمه الموضوع.

وقد تمّت معالجته من خلال فصلين أولهما نظري والآخر تطبيقي سبقا بمقدمة ومدخل تناول ماهية القضايا الاجتماعية معرجا على أغراض الرّواية واتجاهاتها ثم ذيّلت الدراسة خاتمة من أهم نتائجها:

إنّ القضايا الاجتماعية إنسانية قبل كل شيء تتباين بتباين بيئتها خصائصا وظروفا، ثم هي متداخلة أشدّ ما يكون التداخل وهو ما يعسّر توصيفها والحكم عليها، ومن خلالها سلّط الرّوائي الضوء عن فكر وثقافة المواطن العربي في الوطن وخارجه، وبلغ عبرها أهم آماله وآلامه متوسّلا بتقنيات درامية جذابة ولغة سردية متحرّرة اقتناعا بدور الرّواية في توجيه الرأي العام والتأثير فيه.

Résumé:

Cette étude vise à identifier les problématiques sociales arabes contenues dans le roman Le Petit Caire du romancier algérien expatrié Amara Lakhous. Au sein et à l'extérieur de l'environnement arabe dans le but de clarifier les contextes qui le sous-tendent et les implications qui en découlent.

La finalité de l'étude exigeait de s'appuyer sur l'approche descriptive et analytique, ce qui n'empêchait pas de s'ouvrir à d'autres, comme les approches historique, sociale et psychologique, selon les exigences du sujet.

Elle a été traitée à travers deux chapitres, l'un théorique et l'autre pratique, précédés d'une introduction et d'une entrée qui traitaient de la nature des questions sociales, en mettant l'accent sur les objectifs et les tendances du roman. L'étude était ensuite complétée par une conclusion. L'un des résultats les plus importants :

Les enjeux sociaux sont avant tout humains et varient selon les caractéristiques et les circonstances de leur environnement. Ils sont alors extrêmement imbriqués, ce qui rend difficile leur description et leur jugement.

À travers eux, le romancier a mis en lumière la pensée et la culture du citoyen arabe dans son pays et à l'étranger. À travers ces enjeux, il a exprimé ses espoirs et ses douleurs les plus importants, en utilisant des techniques dramatiques attrayantes et un langage narratif libéral, convaincu du rôle du roman pour diriger et influencer l'opinion publique.

Summary :

This study aims to identify the Arab social issues contained in the novel Little Cairo by expatriate Algerian novelist Amara Lakhous. Within and outside the Arab environment with the aim of clarifying the contexts underlying it and the implications arising from it.

The purpose of the study required relying on the descriptive and analytical approach, which did not prevent opening up to others, such as historical, social .and psychological approaches, according to the requirements of the subject.

It was treated through two chapters, one theoretical and the other practical, preceded by an introduction and an entry, which dealt with the nature of social questions, emphasizing the objectives and trends of novel.

The study was then completed with a conclusion.

One of the most important results:

Social issues are above all human and vary according to the characteristics and circumstances of their environment. They are then extremely intertwined, which makes their description and judgment difficult. Through them, the novelist shed light on the thought and culture of the Arab citizen in his country and abroad. Through these issues, he expressed his most important hopes and pains, using attractive dramatic techniques and liberal narrative language, .convinced of the role of the novel in leading and influencing public opinion

تمت بحمد الله